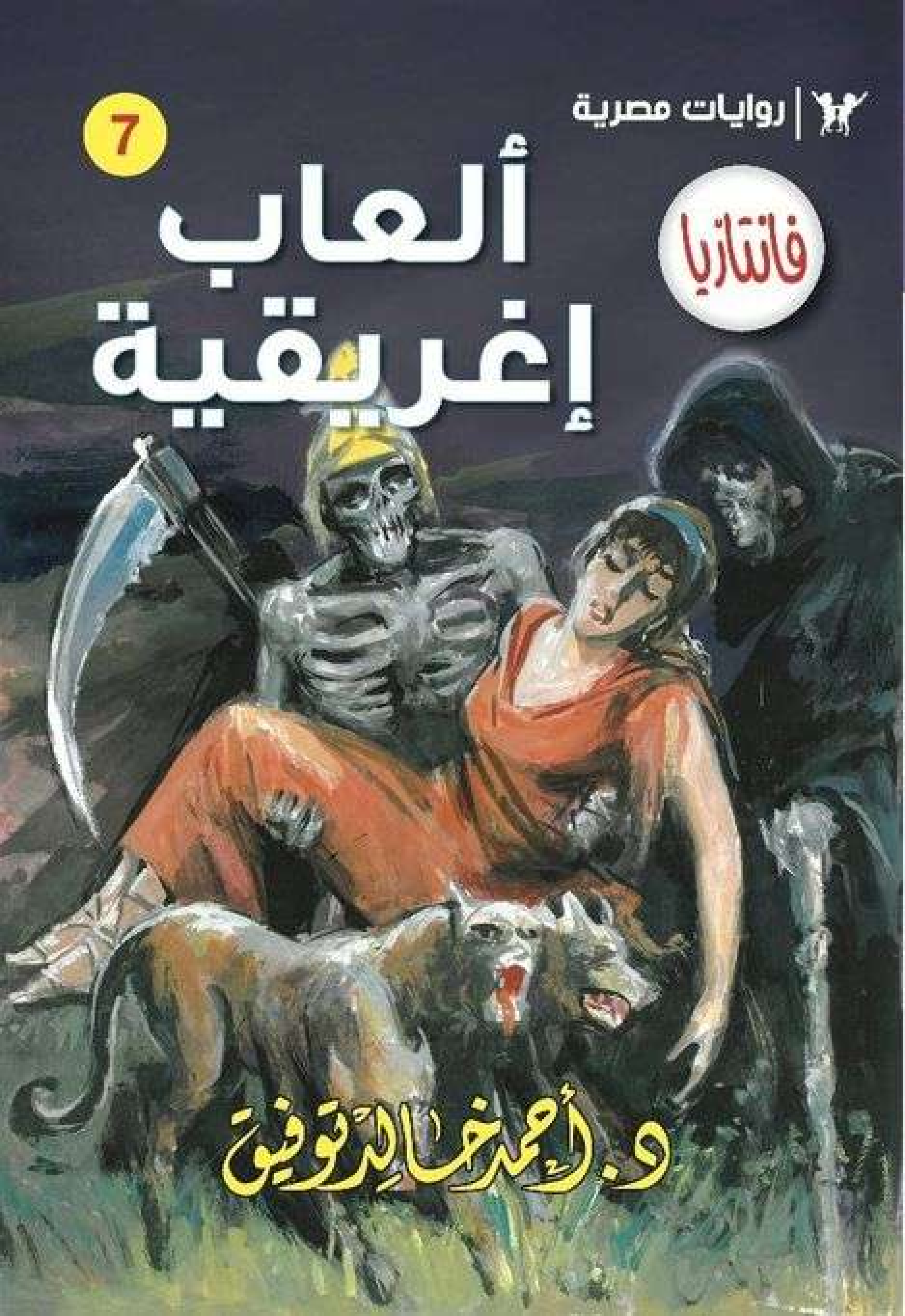

روايات مصرية
7
فانتازيا
ألعاب إغريقية
د. أحمد خالد توفيق

مقدمة

اسمها (عبير) ...

لم يكن لها نصيب من اسمها ... فهى تفتقر إلى الجمال الذى يوحى به الاسم .. إنها سمراء نحيلة بارزة عظام الوجنتين ، باردة الأطراف .. ترتجف رعبًا من أى شىء وكل شىء ...

إنها حتى غير مثقفة .. وبكل المقاييس المعروفة لا تصلح كى تكون بطلتنا .. أو بطلة أى شخص سوانا ..

هى لا تلعب التنس ، ولا تعرف السباحة ، ولا تقود سيارات (الرالى) ، وليست عضوًا فى فريق لمكافحة الجاسوسية ، أو مقاومة التهريب ..

لكن (عبير) - برغم ذلك - تملك أرقّ روح عرفتها فى حياتى .. تملك إحساسًا بالجمال ورفقًا بالكائنات .. وتملك مع كل هذا خيالاً يسع المحيط بكل ما فيه ...

لهذا أرى أن (عبير) هى ملكة جمال الأرواح ، إذا وجد لقب كهذا يومًا ما ..

ولهذا أرى أن (عبير) تستحق مكافأة صغيرة ...

ستكون بطلتنا الدائمة .. ولسوف نتعلم معًا كيف نحبها ونخاف عليها ونرتجف فرقًا إذا ما حاق بها مكروه ....

ولأن (عبير) تملك القدرة علـى الحلـم .. ولأنهـا تختزن فى مقدمة مخها مئات الحكايات المسلية ، وآلاف الأحداث التى خلقها إبداع الأدباء عبر العصور ..

لذلك وقع عليها الاختيار كى ترحل إلى (فانتازيا) ..

(فانتازيا) أرض الأحلام التى لا تنتهى ..

(فانتازيا) حيث كل شىء ممكن .. وكل حلم متاح ..

(فانتازيا) جنة عاشقى الخيال ....

ولسوف نرحل جميعًا مع (عبير) .. سنضع حاجياتنـا وهمومنا فى القطار الذاهب إلى (فانتازيا) ..

وهناك سنتعلم كيف نحلم ...

إن صفير القطار يدوى ، والبخار يتصاعد حول قاطرتـه .. هو ذا جرس المحطة يدق .. إذن فلنسرع ..!..

لقد حان موعدنا مع الأحلام فى (فانتازيا) ..



١ - إلى أين ؟

أيام قد مرَت ، و (شريف) مازال على تحفظه وميله إلى الصمت ..

وفى ظلام غرفته كنت تراه جالسًا ساهمًا يحملق فى شاشة (الكمبيوتر) التى ينعكس ضوؤها على تقاطيعه ، صانعًا (سلويتًا) شديد الأناقة أقرب إلى مفكر (رودان) فى شروده السرمدى(*) ..

- « ثمة شىء ما خطأ .. »

يقولها ويداعب أزرار الجهاز من جديد .. أو يضغط زرَ (الفأرة) الأيسر .. وعلى الشاشة يقىء الجهاز المزيد من أسراره التى لا يمنحها إلا لمن هو أهل للثقة ..

- « ثمة شىء ما خطأ .. »

أحيانًا تقتحم (عبير) الغرفة اقتحامًا رفيقًا ، حاملة قدحًا من القهوة وكوبًا من الماء المثلج .. فلا ينتبه إلى وجودها إلا حين يشم عبير القهوة الساحر

(*) تمثال المفكر للمثال الفرنسى العظيم (أوجست رودان) ..

يخترق خياشيمه .. عندئذ يرفع إلى وجهها عينين منهكتين حمراوين ويهمس :

ـ « ثمة شىء ما خطأ .. »

ويفتش بيد لا ترى عن عويناته التى خلعها فى موضع ما أمامه .. فتلتقطها (عبير) له وتقول باسمة :

ـ « هاك ياذا العيون الأربع ! »

لكنه لا يبتسم .. لا يضحك .. لا يفعل أى شىء سوى المزيد من التركيز على الشاشة .. ثم يدرك أن العوينات لن تضيف لفهمه شيئًا .. فيخلعها ويرشف رشفة من القهوة .. ويغمغم :

ـ « ثمة شىء ما خطأ .. »

★ ★ ★

كان (شريف) قلقًا ..

ولئن كانت (عبير) قد نسيت فهو لم ينس بعد ..

كان مصدر قلقه هو جرح بسيط فى معصمها ..

لم يكن الجرح بالغًا ، ولم يكن خطرًا .. المشكلة الوحيدة هى أنها اكتسبته وهى تحلم !

لقد كان معصمها سليمًا كدورق زجاجى حين

ارتحلت إلى (فانتازيا) لتخوض مغامرتها مع (رعمسيس) والإخوة الحيثيين .. حلمت بمعركة (قادش) فى سهول الشام .. لكنها حين عادت إلى الواقع عادت بمعصم دام !

تمامًا كالشاعر الإنجليزى الذى نام فحلم بالفردوس ، ثم صحا ليجد جواره على الوسادة زهرة !

ما معنى هذا ؟ ما خطره ؟

هذا هو ما يحاول فهمه منذ أيام ..

(عبير) أيضًا لا تفهم سر قلقه المبالغ فيه :

- « وماذا فى هذا كله ؟ »

- « لو أنك لا تجدين ما يثير القلق فى هذا كله ، فأنت فى ورطة ! »

- « لعلى جرحت معصمى فى أثناء الحلم .. »

- « أنا لم أفارقك لحظة .. ولم أفعلها أنا على ما أذكر .. »

ثم نظر إلى عينيها نظرة يحفزها بها على أخذ الأمور بجدية :

- « أنتِ جرحت فى (قادش) وعدتِ بهذا الجرح إلى هنا ! »

ـ « هذا هراء .. الأحلام لا ..... »

قاطعها فى نفاد صبر :

ـ « الأحلام لا تُحدث أثرًا ماديًا .. هذا صحيح .. هذا هو المفترض .. حين تعضنى الكلاب فى مؤخرتى فى الحلم ، لا ينبغى أن أصحو من النوم لأجد الدماء تغرق سروالى .. هذه هى طبيعةَ الأمور .. »

ثم أمسك برأسه .. وصاح فى جنون :

ـ « لهذا أوشك على فقدان عقلى ! كل هذا يفوق فهمى ! »

ابتعلت ريقها .. وجلست لتساعده على الاسترخاء ثم سألته وهى تضع يدها على كتفه فى رفق :

ـ « لكنك بالتأكيد تملك تفسيرًا أوليًا سخيفًا ؟ »

قال لها وهو يستجمع أعصابه :

ـ « بالتأكيد .. أعتقد أنك تفقدين ماديتك .. إن جزيئاتك تسافر بنفسها إلى (فانتازيا) وتمرّ بذات التجربةَ التى يمرّ بها عقلك الباطن ! »

لم تفهم ما يقول لكنها أدركت أنه ـ حتمًا ـ شىء خطير ..

قال لها مستطردًا :

- « إن تصور هذا عسير على الفهم لكنه مؤكد ..
لقد كان رحيل عقلك الباطن إلى (فانتازيا) هو الخطوة الأولى .. بعد هذا غدت جزيئاتك قادرة على الرحيل بدورها .. »

- « لكنى كنت طيلة الوقت على المقعد أمامك .. »

- « هذا حق .. ومعنى هذا أن تناسخًا من جسدك .. كتلة من (الإكتوبلازم) أو (الجبلّة الخارجية) - كما يسميها الروحانيون - تنفصل لتخوض المغامرة كاملة .. »

لم تفهم من جديد .. هذه المصطلحات اللعينة سواء كانت عربية أو لاتينية تضايقها دومًا .. لهذا سألته :

- « وهل هذا سيئ ؟ مادمت أعود فى كل مرة .. »

ابتسم مشفقًا من سذاجتها :

- « تعودين ؟ بعد أن تتلقى رصاصات الخارجين على القانون ، وتنغرس أنياب (دراكيولا) فى عنقك ، وينفجر مكوك الفضاء بك ، وتصيبك سهام الحيثيين .. كل هذا فى جسدك المادى .. ثم بعد هذا تتحدثين عن العودة ؟ إننى لأنحنى إحترامًا لبراءتك هذه !

ـ « لا تسخر منى يا (شريف) .. أنا لم أتلق تعليمًا فى الجامعة الأمريكية مثلك ، لكنى لست بلهاء .. »

ابتسم من جديد مشفقًا :

ـ « لم أقصد إهانة يا ملاكى .. ولو كان البلهاء هم فقط الذين لم يتخرجوا فى الجامعة الأمريكية ، لكنا فى وضع طيب حقًا ! ما أردت قوله هو أن ذهابك إلى (فانتازيا) مخاطرة حقيقية على حياتك .. ولن أكررها مالم أعرف حقًا أبعاد الخطر وأسبابه .. وهكذا يمكنك أن تعتبرى (فانتازيا) ذاتها حلمًا مرّ بك وانتهى .. حلمًا لن يعود ...... »

فى صوت متحشرج غمغمتْ :

ـ « حقًا ؟ »

ـ « حقًا »

ـ « ألن تكررها ثانيةً ؟ »

ـ « نعم .. لن أكررها .. لقد كان الجرح فى معصمك هو إنذار السماء لى بأننا قد جاوزنا الحدّ فى اللهو .. وأننا خرقنا قوانين الطبيعة إلى حدّ الخطر .. وقد حان الوقت كى نقول : وداعًا (دى جى ـ ٢) »

ثم ابتسم متلطفًا ونظر إلى بطنها :

- « ثم إن (عادل) الصغير يحتاج إلى جزء أكبر من اهتماماتنا .. ألم يقل الطبيب ذلك ؟! »

* * *

بلى .. قال الطبيب ذلك وأكثر ..

لكنها لن تصدق أبدًا أن تلك المتعة الحريفة التى تقدمها لها (فانتازيا) هى من الخطورة بمكان .. إن (شريف) لم يعد يحب جهازه .. كفَّ عن حبّه منذ فترة طويلة .. بل صار يرى فيه منافسًا شديدٍ الخطر يحول بينه وبين (عبير) التى صار يحبها حقًا ..

هى تفهم هذا .. لهذا لن تصدق حرفًا مما قال ..

لهذا ستغادر الفراش ليلاً بعد أن تنتظم أنفاس (شريف) ، لتمشى حافية القدمين إلى غرفة (الكمبيوتر) ..

لهذا ستضغط زرَّ التشغيل وترقب الرسائل الروتينية التى يعلن بها الجهاز عن تحميل نظام تشغيله . وهدير القرص الصلب إذ يصحو من النوم ..

ثم أمام علامة المحثّ ستكتب بثقة :

C : \> DG – 2

هكذا كان (شريف) يفعل مرارًا .. صحيح أنه كان يمارس أشياء أخرى عديدة لا تذكرها .. لكنها بالتأكيد تتعلق بكاميرا الفيديو وما إلى ذلك .. وهى ليست بحاجة لكاميرا فيديو ..

ستسافر إلى (فانتازيا) وتعود سالمة لتقول له : إنه كان يغالى فى التظاهر بالخطورة .. كذا الرجال دائمًا ..

فى هدوء تضع الأقطاب حول رأسها ، وتزيح الكابل فى ضجر بعيدًا عن عنقها .. ثم تتأكد من أنها لم تنس شيئًا ..

وداعًا عالم الواقع الذى لا يتغير .....

وداعًا لكل من يحملون وجوههم الكالحة فى بقاع الأرض بحثًا عن مكسب جديد ..

وداعًا أيتها الشاشة المتألقة فى ظلام الحجرة ..

وفى ثقة ضغطت زرّ الإدخال ..

★ ★ ★

الهضبة الحبيبة .. والريح تداعب قميص نومها .. على حين يدنو منها (المرشد) وعلى وجهه ابتسامة من افتقد صديقًا دهرًا طويلاً ثم رآه ..

- « التحيةَ يا (أليس) ! تك تتك تك ! »

القلم الجاف مازال فى كفه لم يختف .. وهو يداعبه بذات الأسلوب الذى كان مثيرًا لأعصابها .. فغدا مملاً .. فغدا ضروريًا .. ومن لوازم حياتها ..

- « جئتِ منفردةً هذه المرة !! »

- « لابد للطفل من أن يعود من المدرسة وحيدًا يومًا ما .. »

- « هذا حق .. إلى أين هذه المرة ؟ »

رفعت ذراعها وطوحتها فى الهواء :

- « لا أدرى .. إن الملل يقتلنى .. أرنى مالديك .. »

ركبا القطار .. قطار (فانتازيا) الشبيه بقطارات مدن الملاهى .. وراحت (عبير) تتأمل العالم حولها .. (سوبرمان) .. عالم (ديزنى) .. صراعات الأسود على ضفاف بحيرة (تانا) .. رعاة البقر يقذفون قبعاتهم فى الهواء .. (نابليون) وجيشه يزحفون فوق ثلوج (روسيا) .. ثم .....!

فجأةً رأت نفسها ! رأت نفسها فى ثوب المدرسة تخرج من قلب حارة بائسة والدجاج يركض مذعورًا مبتعدًا عنها .. ورأت (شريف) يتقدّم منها ليأخذ

بيدها .. و .. راح القطار يبتعد عن المنظر ..

- « (مرشد) ! ما معنى هذا ؟! »

نظر لها فى لا مبالاة وتساءل بأدب :

- « معنى أى شىء ؟ »

- « لقد لمحت نفسى .. لمحدت شذرات من واقعى ! »

- « آه ! إنه عقلك الباطن يا فتاة .. ذكرياتك فى كل مكان ، وليس من الغريب أن تقابلى نفسك .. »

- « لكن الماضى ليس قصة يُخصص لها مكان فى (فانتازيا) .. أنا لم أر هذا المكان قط فهل لديك تفسير ؟ »

- « لا تفسير .. »

قالها ليسكتها .. وعاد (يتكتك) قلمه ..

أما هى فقد أصابها هذا بحيرة غير عادية ..

ماضيها هو أسطورة أخرى من أساطير (فانتازيا) يمكنها أن ترتادها إذا أرادت .. فما معنى هذا ؟

أتكون حياتها السابقة كلها (المدرسة - البيت - شريف) وهمًا عاشته فى (فانتازيا) ؟ مستحيل ؟

ثم قررت ألا داعى للاسترسال فى هذه الخواطر المبلبلة ..

فلتنعم الآن برحلتها الثمينة هذه ..

ومن بعيد رأت كهلاً وطفلاً يرفرفان بأجنحة من شمع فى السماء .. ورأت مملكة مظلمة سوداء يفصلها عن قطار (فانتازيا) نهر كئيب ساكن .. ورأت عملاقًا يصارع وحشًا ذا ستة رءوس ..

قال لها (المرشد) :

- « تك تتك ! هذا هو عالم الميثولوجيا الإغريقية(*) .. فهل ترغبين أن .. ؟ »

التمعت عيناها حماسًا .. وهمست :

- « يمكنك أن تراهن على هذا ! »

* * *

(*) علم الأساطير .

٢ - ألعاب إغريقية ..

فى اللحظة التالية - وكما هو عهدها بـ (فانتازيا) - شعرت بأنها لا ترتدى ما كان عليها من ثياب ..

أدركت أنها ترتدى ثوبًا إغريقيًا أبيض يكشف عن أحد ذراعيها ، وفى قدميها رأت صندلاً إغريقيًا ذا شرائط تلتف على ساقيها ..، ولو كانت تملك مرآة لأدركت أن شعرها صار مصففًا مرفوعًا إلى أعلى ، وإن تدلّى على جانبى رأسها كقرنى كبش .. هذا هو الطابع (الهللينى) الذى - وإن كانت لا تعرف اسمه - فهى تميّزه ككلّ ويبدو لها مألوفًا ..

كان هناك نهر رقراق تتناثر زهور النرجس على جانبيه ، وكانت هناك بعض الغيد يرقصن ، وقد دست كل منهن زهرة خلف أذنها - كما تفعل بنات (هاواى) - على أنغام مزمار مكون من قصبات متلاصقة يمسك به أحد الرعاة ..

كانت الأداة مألوفة لها ، كالتى كان الأخ (زامفير)

يعزف عليها مقطوعة (الراعى الوحيد) فى عالم الواقع ..

قالت فى انبهار للمرشد ..

- « هذه الأداة .. إننى رأيتها مرارًا على الشاشة الصغيرة .. »

قال دون حماس :

- « هذا هو الـ (بان فلوت) .. نسبة إلى (بان) إله المراعى عند الإغريق ولسوف ترينه مرارًا .. »

سألته وهى تنقل قدميها فوق الكلأ النضير :

- « هل يمكننى أن أخوض حرب (طروادة) مع الخائضين ؟ »

- « تك تك ! كلا .. إن (الإلياذة) و (الأوديسة) تُحفتىَ الشاعر الضرير (هوميروس) هما عملان كثيفان ضخمان ، وقد خصصنا لهما قطاعًا خاصًا من (فانتازيا) ..أما هنا .. فلسوف تمرين بالمغامرات الخيالية التى ليس لها سند تاريخى .. »

- « وهل يمكننى أن أقابل (ميدوسا) و (المينوتور) ؟ »

- « بالطبع .. لكننى لا أوصيك بهذا .. فقد تحدث عنهما زميلك فى المؤسسة د. (رفعت إسماعيل)

بشىء من التفصيل .. وأخشى أن يثير هذا ملل القراء .. »

ـ « لا بأس .. والآن قل لى : من أنا فى هذا العالم ؟ »

قال لها متثائبًا :

ـ « لا أهمية لهذا .. فالحسان فى الأساطير الإغريقية حسان وكفى .. مثلهنَ مثل حسناوات ألف ليلة وليلة .. إنهنَ شخصيات أحادية البعد بلا أعماق .. فقط هنَ جميلات ، مما يجعل الرجال يحبونهنَ أو يخطفونهنَ أو يتقاتلون من أجلهنَ .. وليكن اسمك (هيلين) أو (دافنى) أو (أندروميدا) أو (برسفونى) أو (إيكو) .. لا يهم .. »

ـ « ولكن .... »

فى اللحظة التالية أدركت (عبير) أن (المرشد) قد رحل بعيدًا ، وأن عليها أن تحتل موضعها فى هذا الكون .....

★ ★ ★

تدنو من النهر أكثر ..

كل هذا الجمال الذى لا يوصف ، وضياء الشمس الباهر ينعكس على صفحة الماء باعثًا ألف ألف شمس ..

هذا المشهد الذى داعب خيال الشعراء دهورًا لكنهم لم يروه قط بهذه الروعة ..

رسم الإنجليز ذات المشهد مئات المرات ؛ لكن رساميهم شديدى الرصانة لم يروه قط .. كانت هناك مدرسة (أخوة ما قبل رافائيل) وكان هناك الكلاسيكيون ورسامو (الروكوكو) الفرنسيون .. كلهم ظلوا يرسمون بغباء أنهارًا تستحم الحسان على ضفافها ، لكن فى عالم الواقع لا يوجد مشهد مماثل ، والنتيجة هى أنهم جميعًا رسموا السخف والتكلف بعينه ..

وتذكرت (عبير) عبارة لا تذكر قائلها : إن أجمل الأشعار الرعوية التى تتغنى بالريف ، وبالراعى الجالس تحت شجرة يعزف على الناى ، ويغازل حبيبته ، هذه الأشعار قالها ساكنو المدن الذين لم يروا الريف قط !

ما علينا ....

نعود إذن إلى (عبير) التى تدنو من النهر أكثر لترى مشهدًا غريبًا بعض الشىء ..

ثمة شاب رائع الجمال يجثو على ركبتيه جوار

الماء ، ويحدث انعكاس وجهه فى صفحته !

كان يقول بصوت دامع ملهوف :

- « إيه يا عروس البحر الحسناء القاسية ! ألن تقبلى وصال قلب أدماه غرامك وأضناه هواك ؟ »

ثم رأته (عبير) ينحنى ليلمس بشفتيه صفحة الماء !

بالطبع تعكر الماء وتبعثر انعكاس الفتى إلى ألف ألف وجه .. فرأته (عبير) يرفع وجهه ، ويبصق الماء الذى ابتلعه .. ويقول :

- « تبًّا لك من قاسية ! تضنين على عاشقك المكلوم بقبلة ؟ »

لم تفهم (عبير) ما شأن هذا المعتوه ..

ثم تذكرت على الفور .. هذا هو (نركيسوس) - أو (نرجس) - الفتى الجميل الذى عشق انعكاس وجهه فى الماء .. وحسبه وجه عروس بحر فاتنة .. لهذا التصقت لفظة (النرجسية) بحبّ الذات الشديد ..

الفتى يحاول جاهدًا .. وفى كل مرة يلامس الماء بشفتيه ؛ لكن الماء يتعكر .. من ثَمَّ يحسب هذا تدللاً من عروس البحر الحسناء ..



ثم تذكرت على الفور .. هذا هو (نركيوس) - أو (نرجس)
الفتى الجميل الذى عشق انعكاس وجهه فى الماء ..

دنت (عبير) منه ، وقد شعرت بالشفقة على هذا البائس .. ربما كان بوسعها أن تعيده إلى رشده ..

قالت له فى رفق وهى تربت على كتفه :

- إحم ! يا سيد (نركيسوس) ! »

أجفل ورفع عينيه الجميلتين ليراها واقفة جواره ..

- « مـ .. من ؟ »

- « أنا .. أ .. صديقة يهمنى أمرك .. و ... »

- « لا أحد يستطيع أن يعيننى .. لا أحد .. »

وقبل أن تلفظ بكلمة أخرى ، أخرج من ثيابه خنجرًا .. وبحرفنة وأستاذية أولجه حتى المقبض فى بطنه .. انتحر المجنون قبل أن يفهم .. انتحر بسبب قنوطه فى الحب ..

وسرعان ما تهاوى جسده ليختلط ماء الغدير بالدم ، وهمد الذى كان مفعمًا بالحيوية منذ ثوان ......

صرخت (عبير) فى هلع :

- « (نركيسوووس) ! لقد تأخرت عليك أكثر من اللازم ! »

وعند قدميها رأت الجسد يرتجف رجفة أخيرة ، ثم يهمد تمامًا ..

ومن الماء برز رأسان لعروسى بحر .. وتأملته إحداهما فى حسرة ثم غمغمت :

- « يا للخسارة ! شاب جميل كهذا .. »

- « هلمى إذن نحرق جثته ! »

هتفت (عبير) فى جزع وهى ترى العروسين تجمعان الأعشاب الجافة لتضعاها فوق جسد الفتى الممدد على ضفة النهر :

- « ولكن .. حرام أن تحرقاه ! »

قالت إحداهنَ فى لا مبالاة :

- « هذه هى التقاليد يا حبيبتى .. ومن الطبيعى أن تنبت من رماده زهرة (نرجس) .. هكذا تحتم الأسطورة .. »

وشاعرة بالاشمئزاز من رائحة اللحم المحترق ، راحت (عبير) تبتعد ببطء مختلسة من حين لآخر نظرة إلى الوراء لترمق المشهد الأليم .. لكنها لم تستطع إنكار روعة الأسطورة وعبقرية وشاعرية مبتكرها ..

ألقت بنظرها إلى صفحة الماء لترى مشهدًا غريبًا آخر ..

كان هناك شاب وسيم آخر ـ يبدو أن هذه البلاد تزخر بالشبان والفتيات بارعى الجمال ـ يستحم فى النهر ..، ورأته يسبح إلى الضفة البعيدة حيث توجد ثيابه ..

هنا رأت امرأة حسناء تقف بانتظاره وعلى شفتيها ابتسامة واثقة .. أطلق الفتى صرخة حياء وعاد يسبح فى الماء قاصدًا الضفة الأخرى ..

من الغريب أن المرأة كانت تنتظره بذات الثبات والثقة قبل أن يصل إلى البرّ !

ويتكرر المشهد ..

الفتى يسبح إلى ضفة ليجد أن معذبته تنتظره فوقها .. فيهرع إلى الضفة الأخرى ليجد الشىء ذاته !

كانت هناك فتاة تقف جوار (عبير) تتأمل المشهد فى غيظ .. ثم إنها قالت ، وهى تبصق فى الماء :

ـ « أترين ألاعيب هذه المرأة ؟ إن هذا لا يليق بها .. هذا التهافت المشين على من كان فى عمر أطفالها !

ومصمصت بشفتيها :

- « تبًا للنساء ! أحيانًا أخجل لكونى منهنَّ ! »

سألتها (عبير) دون أن تفهم شيئًا :

- « مَنْ هو ومَنْ هى ؟ »

قالت الفتاة فى دهشة :

- « أحقًا لا تعرفين ؟ هو الصياد (أدونيس) وهى (فينوس) .. لقد أعجبت به كثيرًا لكنه سيصدّها .. »

- « حقًا ؟ وماذا سيكون ردّ فعلها ؟ »

- « لن تؤذيه .. لكنها ستنقذ حياته بعد ما تمزقه الحلاليف البريّة بأنيابها .. عندئذ يقرر أن يحبها ! »

- « آه ! فهمت ! »

وهنا تسمع (عبير) صراخًا مجنونًا ..

وترى حسناء أخرى - إنهنّ كالليمون عددًا فى الأساطير الإغريقية - تركض فى المروج وهى تولول ، كما تولول (أم هشام) كلما مات زوج لها فى عالم الواقع .. غير أن (أم هشام) لا تملك هذا الشعر الذهبى وهذا الجمال النورانى .. بالإضافة إلى أن الفتاة لا تعرف كلمات (سبعى) و (جملى) .. وبالتأكيد يوجد فى شعرها عدد أقل من القمل ..

أما سبب صراخها - الفتاة وليس (أم هشام) - فهو أن هناك من يطاردها .. وهو لايكف عن الصراخ فى افتتان :

- « أحبك ! أحبك ! »

- « لا ااااه ! » - تصرخ الفتاة ..

- « ابتعد أيها الشيطان عنى ! »

- « (دافنى) ! أنا أهواك .. أقسم على هذا .. »

لكن الفتاة رفعت صخرة هائلة الحجم وهوت بها على أم رأسه .. ثم واصلت الركض والولولة ..

لحسن الحظ لم ينفجر رأس الفتى .. بل تحسس رأسه وغمغم مفتونًا بما معناه أن (ضرب الحبيب مثل أكل الزبيب) .. وواصل المطاردة ..

قالت (عبير) لزميلتها وهى ترمق المشهد :

- « لا يبدو شريرًا .. إنه يحبها بجنون لا أكثر .. »

- « هذه هى مأساة الحب من طرف واحد .. طرف لا يطيق الحياة دون أن يرى الآخر .. وطرف لا يطيق الحياة إذا رأى الآخر ! »

ثم همست وهى تشير إلى شىء يتحرك فى الهواء :

ـ « هذه خدعة خبيثة من (كيوبيد) اللعين .. »
(كيوبيد) ؟ أحقًا ؟!

هى ذى تراه .. كما تخيلته تمامًا ..

الطفل العارى (الملظلظ) وعلى ظهره جراب السهام ، وفى يده القوس ، وجناحاه يرفرفان ليحملاه فى الأجواء بسلاسة لا تصدق .. كنحلة كبيرة لعوب تطير هنا وهناك ..

(كيوبيد) أو (إيروس) ابن (فينوس) ، الذى أسند له الإغريق مهمة إلقاء الحبّ فى القلوب ..

ولكن ما الخدعة الخبيثة يا أخت (ميلينا) ؟

[هذا هو اسم الفتاة التى تقف جوار (عبير)] ..

تقول (ميلينا) :

ـ « كان الأمر كله تحديًا بين (أبوللو) و (كيوبيد) .. لقد استهان (أبوللو) بشأن (كيوبيد) ووصفه بأنه طفل ضعيف .. لهذا صمم (كيوبيد) على الانتقام .. وأى انتقام ! تخيلى هذا يا أختاه ! فى البدء انتظر حتى مرّت الحسناء (دافنى) أمام (أبوللو) .. وصوّب سهمًا ذهبيًا إلى قلب الأخير .. أنت تعرفين ما يحدث بعفل تلك السهام .. هوب ! هام (أبوللو) حبًا بـ (دافنى) من أول نظرة ، وراح يطاردها ليخطب

ودّها .. هنا انتهز (كيوبيد) الفرصة وصوّب سهمًا رصاصيًا إلى صدر الفتاة .. وهوب ! لم تعد الفتاة تطيق رؤية (أبوللو) .. صارت تراه وحشًا كاسرًا يريد التهامها .. وها هى ذى النتيجة : (أبوللو) - بكل سلطانه - يركض وراء فتاة أرضية يتوسل إليها كى تقبل حبه .. تبًا لـ (كيوبيد) من شيطان صغير ! »

(دافنى) تواصل الركض حتى حافة النهر ..

تجثو على ركبتيها تتوسل للنهر كى ينقذها من مطاردة ذلك الوغد الذى لا تتحمل رؤيته ..

وقورًا هادئًا يقبل النهر أن يحررها ، ويحتضنها ليداريها عن عينى مطاردها !

وترى (عبير) (أبوللو) يجثو على ركبتيه ذاهلاً .. يتأمل الماء ..

وكان يبكى فى لوعة ، بكاءً يمزق نياط القلوب ..

- « (دافنى ى ى ى ى) ! عودى إلىّ أيا ملاكى ! »

لكن لا جواب ..

همست (عبير) وقد رق قلبها :

- « إن ضفاف هذا النهر هى مأوى كل من تحطمت قلوبهم .. مثله مثل (فندق تحطيم القلوب) فى الأغنية الشهيرة .. »

رأت (كيوبيد) يحوم حول المشهد مرارًا ، ثم ينفجر فى الضحك :

ـ « نياهاهاهاه !..أرأيت قدراتى يا ابن (حيرا) ؟ لن تدعونى ضعيفًا بعد الآن ! »

استنشق (أبوللو) دمعة كادت تسيل من أنفه .. وهمس :

ـ « سنيف ! أنا أعتذر لك يا بن (فينوس) .. ولكن ـ رحماك ـ خلصنى مما أنا فيه من عذاب .. »

ـ « ولن تكررها ؟ »

ـ « أقسم لك .. »

وانطلق السهم الرصاصى ليستقر فى صدر (أبوللو) .. وعلى الفور شفى من غرامه الممضّ وتعالت ضحكاته ..

لقد نسى !..

ـ « أتعرفين يا أختاه ؟ »

قالتها (عبير) وهى تدسّ زهرةً بين خصلات شعرها :

ـ « .. أظن أننى سأستمتع حقًا فى هذا العالم .. »

وكانت مخطئة ..

مخطئة إلى حدّ كبير ..

★ ★ ★

٢ - هيدز ..

كان جبل (الأوليمب) يقف شامخًا فى الأفق ، يخترق الرباب(*) بقمته الشاهقة ، وحوله يحلق ألف حلم وحلم ......

راحت (عبير) ترمقه فى انبهار ..

وهنا رأت (هليوكوبتر) تحلق حول القمة فى دورات منتظمة .. وقد أثار هذا دهشتها ، ثم تذكرت -للمرة الألف - أنها فى (فانتازيا) حيث يزول الحدّ الفاصل بين ما هو ممكن وما هو مستحيل .. ويمتزج الماضى بالحاضر بالمستقبل ..

لكن لا مانع من سؤال (ميلينا) عن معنى هذا ..

قالت (ميلينا) وهى تمضغ قطعة من تفاحة :

- « إنها الدورة الأوليمبية كما تعلمين .. وشبكة(CNN) تقوم بالتصوير .. إن الأولمبياد عادة إغريقية يزعمون أن آلهة الأولمب كانت تمارسها .. ونحن الأرضيين

(*) الرباب : هو السحاب الأبيض .

نمارس ألعابًا مماثلة تبركًا بهم .. بما فى ذلك تقليد حمل الشعلة وما إلى ذلك .. »

ـ « فهمت ..! »

وهنا سمعت صراخًا ......

نظرت إلى الوراء لتجد الغيد يركضن فى كل اتجاه صارخات مذعورات .. وبعضهنَ وثبن فى الماء مفضلات الغرق على .... على ماذا ؟

هذه هى مشكلة (عبير) فى كل العوالم .. دائمًا يحدث خطر ما .. ويفرّ الجميع ، أما هى فتتأخر قليلاً لعدم فهمها ما يحدث .. عندها يكون الخطر من نصيبها وحدها .. مرة انفرد المذءوب بها .. ومرة هاجمها الدبّ عند النهر .. ومرة انقضّ ثورٌ هائج عليها ، والآن يداهمها .... من بالضبط ؟!

كان المشهد مخيفًا ..

شيخ يرتدى عباءة سوداء ، وفى يده عصا تنتهى بجمجمة طفل ..، وكان وجهه مشوهًا لدرجة غير عادية ..

وإلى جوار الشيخ كان هناك هيكل عظمى يرتدى ما يشبه مسوح الرهبان ، وفى يده منجل عملاق ، أقرب

ما يكون إلى الصورة الشائعة للموت فى الأذهان ..

وكان هناك - إن الدعابة لم تنته بعد - كلب مسعور ذو رأسين ، يتطاير الزبد من بين أشداقه الأربع وأنيابه الحادة .. وكان هذا الكلب يركض فى كل صوب مطاردًا الفتيات الصارخات ..

وسمعت (عبير) الشيخ يهتف فى نشوة :

- « هيا ! أريد واحدة من هاته الغيد .. أريد أجملهنَّ زوجةً لى ! نياهاهاهاه ! »

ثم تحسس صدره فى هيام :

- « إننى لأشعر بالحسد .. ما أجمل مملكة أخى (زيوس) هذه وما أروعها ! ضوء الشمس فى كل مكان بدلاً من الظلام والبرد اللذين أصابانى بالروماتيزم .. »

كان هذا كافيًا كى تقرر (عبير) الفرار بدورها ..

لا داعى لانتظار مزيد من التفسيرات ..

ولكن .. ما أصعب الركض بهذا الصندل الإغريقى ! ثم إنها كانت تعرف مقدمًا ألا جدوى من الهرب .. إن (دى جى - ٢) لن يترك الفرصة .. وبالتأكيد ستكون هى أجمل الموجودات ، والبائسة التى سيختارها هذا الشيخ المفزع ..

وقد كان .....

سمعت قرقعة العظام وراءها فلم تجرؤ على النظر خلفها .. راحت تعدو وتصرخ .. تصرخ وتعدو .. تعدو وتصرخ .. تصـ .....

ثم ارتفعت عن الأرض وأيقنت أن الهيكل العظمى قد أمسكها ..! راحت تولول وتركل بقدميها لكن الوغد كان قويًا ..

وأحست به يركض حاملاً إياها عائدًا إلى سيده ..

نظرة مريعة التمعت فى عينى الشيخ المخيف وهو يتأملها .. ثم مدّ إصبعين مخلبيين متآكلين يمسك بهما ذقنها .. وغمغم :

- « بحق أمى الأرض (جى) .. إنها لفتاة مليحة .. »

ثم صاح بلهجة آمرة فيمن معه :

- « (شارون) ! أنت ورجالك ! هلموا بنا نعد إلى بلدنا المظلم .. إلى (هيدز) ! »

صاح (شارون) فى عصابته بصوت (عظمىّ) :

- « هلموا يا شباب ! إلى (هيدز) ! »

- « يا هوووووووه ! »

وجدت (عبير) نفسها تُقاد إلى أطراف الغابة ،



ثم ارتفعت عن الأرض وأيقنت أن الهيكل العظمى قد أمسكها . .

محمولة على أعناق تلك الأشباح المفزعة ..

كانت ثمة مساحة متراميه خالية من الأشجار ، وكان الأفق يصطبغ بلون الدم ، وينحدر إلى نقطة لا تدرى من أين ينتهى عندها ويبدأ النهر .. النهر الراكد الذى انعكس فيه الضوء الأحمر ، فبدا كبركة دماء أخرى ..

وكان هناك طوف خشبى ينتظر هناك ..

فصعد الشيخ المخيف أولاً .. تلاه المدعو (شارون) فالكلب الذى عرفت (عبير) أن اسمه (سيربيروس) .. ثم ثلاثة من هؤلاء الأوغاد ..

وأمسك (شارون) المجداف بيدى الهيكل العظمى ، وراح يجدف فى كآبة وبطء .. لا يجاوبه سوى صوت الماء ، إذ ينشطر تحت المجداف ، ولهاث (عبير) وهى تتساءل عن مصيرها ..

وحين ابتعد الطوف عن الشاطئ لمحت امرأة تتقدم من النهر فى حذر .. كان فى يدها طفل رضيع لا يكف عن الصراخ ..

فى حنكة تنزع المرأة عن الطفل ثيابه ليصير عارياً كما ولدته هى - واضح أنها أمه - ثم تمسك بكعبيه

لتدلى به مقلوبًا فى الماء .. مرارًا وتكرارًا .. بعدها ترفعه وتجفف جسده الصغير ..

هنا تذكَّرت (عبير) ما قرأته عن هذه القصة ..

هذا الرضيع هو (أخيل) الذى غطسته أمه فى نهر (ستيكس) ليصير منيعًا ضد سهام الأعداء ..

(أخيل) بطل حرب (طروادة) الذى سيعيش حياته لا يُقهر .. تتهشم النصال والسهام على جسده ، لكن مناعته ينقصها شىء واحد .. إن كعبيه لم يمسا الماء قط !

وتكون هذه هى نقطة ضعفه .. ولهذا ينجح (أجا ممنون) عدوه فى أن يسدد سهمًا سامًّا إلى كعب رجله .. ومات (أخيل) .. وعاشت لفظة (كعب أخيل) كناية عن نقطة الضعف فى أى نظام دفاعى مُحكم ..

إذن هذا هو (أخيل) ، وهذا هو نهر (ستيكس) ..

إن نهر (ستيكس) هو الحدّ الفاصل بين الحياة والموت فى أساطير الأغريق .. ما بين مملكة الأحياء التى يحكمها (زيوس) ومملكة الموت التى يحكمها أخوه (بلوتو) ..

ولهذا اكتسب نهر (ستيكس) تلك السمعة عن مياهه التى تقى من الموت ..

لكن ما معنى هذا ؟

معناه أن خاطفها ـ الشيخ المخيف ـ هو (بلوتو) صاحب مملكة الموت .. ومعناه أن الدور الذى تلعبه هو دور الحسناء (برسفونى) فى الأساطير الإغريقية ..

ومعناه أنها تعبر ـ فى هذه اللحظة بالذات ـ الحدَ الفاصل بين الحياة والموت !!

* * *

٤ - فى مملكة الموت ..

والآن دعونا نصف لكم (هيدز) مملكة الموت الرهيبة ، التى يحكمها (بلوتو) فى سخط وعدم رضا ..

مسكين (بلوتو) ! حتى حين خلّد العلم اسمه أطلقه على أبعد وأبرد وأكثر كواكب المجموعة الشمسية إظلامًا ..

كان (بلوتو) يردد دومًا :

- « لقد كان حظى سيئًا دومًا .. وكان أبواى (جى) و (أورانوس)(*) يفضلان (زيوس) علىَّ فى كل شىء .. والآن صار نصيبى من العالم هذه المملكة الكئيبة المظلمة .. »

ظل يردّد هذا حتى جاء اليوم الذى أزمع فيه أن يخرج إلى العالم الخارجى ، ويحصل على زوجة بأى ثمن .. زوجة تنسيه صراخ الأشباح وعواء الأرواح

(*) السماء والأرض .

وسحنة (شارون) ـ تلميذ الجحيم ـ الكالحة ، التى تفزعه هو نفسه ......

وقد كان ..

وهو ذا اليوم راض أى رضا ..

ولِمَ لا ؟ وقد عاد إلى عالمه بزهرة يانعة هى (برسفونى) ابنة (دمتير) .. زهرة انتزعها من مروج أخيه (زيوس) ليضعها فى أصيص صغير ينعش به روحه ..

هكذا فكر .. واسترخى فى عرشه الذى ازدان بالجماجم الآدمية والتفت الأفاعى حول قوائمه ..

وعلى كتفه حط نسرَ مخيف يطلق صرخات مروعة .. بينما تدلت الوطاويط من غصن شجرة فوقه .. وعند قدميه تمددت الضباع مسترخية تحلم بالوجبة التالية من لحم الموتى ..

أما (عبير) البائسة التى لم تتصور وجود هذا الكابوس ، فقد ارتمت جوار العرش على ركبتيها تنشج وتولول ..

نظر لها فى رقة مرعبة وتساءل :

ـ « وبعد ؟ ألن تأكلى شيئًا ؟ »

ـ « ... ... ! »

ـ « لسوف تموتين جوعًا وظمأ ! »

ـ « ... ... ! »

ـ « إن هذا لن ينجيك منى .. فحتى لو متّ ستعودين إلى هنا ! أنا هو الشخص الوحيد الذى لن ينقذك الموت منه ! »

ـ « ... ... ! »

كانت دموعها تسيل مدرارًا على الأرض ، وفجأة رأت شبحين شفافين يحومان حولها ، ثم يهويان إلى الأرض ليلعقا الدموع التى سالت منها ..

هل هى تتخيل ؟ لا .. فجأة لم يعد الشبحان شفافين .. بل غدا لهما كيان مادى ملموس .. صارا أقرب إلى البشر الطبيعيين .. وسمعت أحدهما يقول لها فى صوت رقيق :

ـ « التحية يابنة (دمتير) .. أنا التاجر (هوراس) من صقلية .. لقد اختطفنى (شارون) من بين عائلتى صباح اليوم .. »

همست فى حذر حتى لا يسمعها (بلوتو) :

ـ « لماذا لعقت الدمع ؟ »



كانت دموعها تسيل مدرارًا على الأرض ، وفجأة رأت
شبحين شفافين يحومان حولها ..

ـ « نحن الأشباح نحتاج إلى سوائل الأحياء لأنها تجعلنا نملك كيانًا ماديًا قادرًا على التفكير والكلام ، ولو بشكل مؤقت .. »

ـ « وكيف حال العالم ؟ »

ـ « أوه !.. إن الخراب يعمّ كل شىء .. وقد جفت السهول ، ويبست حقول الحنطة ، وضمرت بهيمة الأرض ، ونشر الجوع ألوية الخراب .. »

ـ « لماذا ؟ »

ـ « إن أمك (دمتير) غاضبة تنقب عنك فى كل صوب .. و .... »

هنا هوت عصا (بلوتو) على رأس الشبح ، ففرّ هذا موليًا الأدبار يعول ككلب تلقى ركلةً .. وصاح (بلوتو) فى حنق :

ـ « ابتعد يا (هوراس) عن زوجتى ! ما جدوى أن تستردّ القدرة على الكلام مادمت ستفقدها ؟! لا يضايقنى سوى الشبح الذى يرفض فكرة كونه شبحًا .. »

ثم استدار إلى (عبير) ليرمقها فى شك :

ـ « عمّ كنتما تتحدثان ؟ »

قالت وهى تتحاشى نظراته القوية :

- « كـ .. كنا نثرثر عن الطقس .. »

- « طقس ؟ هنا ؟! »

وهنا قطع عليه الحديث صوت صراخ وعويل ، فقال لـ (عبير) وهو يساعدها على النهوض (أو يرغمها عليه فى الواقع) :

- « هذا (شارون) .. لقد أحضر زبائن جددًا .. هلمى أرِك هذا المشهد فهو جدير برؤيته .. »

واقتادها - كما يقتاد خطيب خطيبته فى متنزه - ليقودها إلى ضفةِ النهر .. كانت هناك عشرات الحفر التى تنبعث منها النيران المتأججة حمراء اللون ، وكانت العقارب تفرّ هنا وهناك من موطئ قدميهما ..

وعلى ضفة النهر وقفت (عبير) ترمق ذلك المشهد المروِّع .. كان طوف (شارون) قادمًا وملاّحه - الهيكل العظمى - منتصب القامة يمسك المجداف ويرمق الأفق فى لامبالاة ..

وعلى ظهر الطوف احتشد عدد من الرجال والنساء المذعورين يولولون ويحاولون الوثب فى الماء .. لكن المياه الثائرة حمراء اللون لم تكن مما يسرّ

الناظرين .. وكان الوثب فيها أكثر صعوبة من عدم الوثب .. لكن (شارون) كان يرفع مجدافه من حينٍ لآخر ليهوى به فوق الرءوس ، مما يدفع القوم إلى التزام الهدوء ..

ويصل الطوف إلى الشط ، فيخرج (شارون) من عباءته بوقًا قديمًا ينفخ فيه - دون رنتين ؟! - فيصدر صوتًا موحشًا عميقًا يتردد فى الربوع ، كصوت وعل عملاق ينادى أنثاه ..

وضربة مجداف تدفع المحتشدين إلى مغادرة الطوف .. والفرار فى كل صوب لكنهم يفاجئون بالكلب المسعور (سير بيروس) يعترض طريقهم وهو ينبح نباحًا متوعدًا ..

من ثَمَّ يقفون صفًا بانتظار النداء بأسمائهم ..

خطر لـ (عبير) هنا مدى سخف ولا منطقية الديانات الإغريقية القديمة .. فعند الإغريق يغدو الموت فى حدَ ذاته عقابًا ! يعنى هؤلاء الموتى يرون الأهوال سواء كانوا أخيارًا أم أشرارًا فى عالمنا ..

لقد كان الفراعنة متعددى الآلهة فى أغلب تاريخهم ،

لكنهم كانوا يؤمنون بوجود حساب فى العالم الآخر يلقى فيه الطيب جزاءه والمسىء عقابه ..

أما هنا - عند الإغريق - فالموت شىء مريع ، وعقاب فى حد ذاته للأخيار والأشرار معًا .. والمنتصر الوحيد هو من يؤجل لحظة موته إلى آخر وقت ممكن !

وقفت (عبير) جوار (بلوتو) ترمق هؤلاء البؤساء يغادرون الطوف ، ويقفون صفًا بانتظار مصيرهم المظلم بعد (التمام) ..

- « الجندى (ماركوس تيبريوس) .. »

- « أفندم ! »

- « المغنية (هيلانة هيفايستوس) »

- « أفندم ! »

وانتهى (التمام) فاتجه (شارون) إلى (بلوتو) ليناوله لفافة جلدية كتب عليها باللاتينية .. وقال :

- « تمام يا سيدى .. الأربعون اسمًا كلها موجودة .. والآن هلا وقعت لى هاهنا ؟ »

- « حسن يا كالح الوجه .. الروتين دائمًا .. الروتين .. ولكن قل لى .. ماهى الأخبار عند أخى (زيوس) ؟ »

قال (شارون) وهو يعيد طىّ اللفافة :

- « أوه يا سيدى .. إن العالم مقلوب رأسًا على عقب .. لقد ملأت (دمتير) الأرض صراخًا وعويلاً .. وأشعلت شعلة عملاقة تضىء لها أغوار الكهوف ودياجير الغابات بحثًا عن ابنتها .. لقد توجه الناس إلى المعابد كى يسترضوها لكنها لم تهدأ بالاً .. من ثَمَّ هجر الربيع الأرض ، وهلك الزرع ، وجف الضرع ، ونفقت الماشية .. »

بدا نوع من القلق على (بلوتو) ، وتصلبت كفه على ذراع (عبير) وهو يسأل :

- « وماذا عن (زيوس) ؟ ما رأيه فى كل هذا ؟ »

- « إنه حزين على ما أصاب رعاياه .. وقد طالب (دمتير) بأن تتغلب على أحزانها الشخصية .. لكن الأم المكلومة تأبى إلا أن يجوع الجميع ما دامت (برسفونى) ابنتها الحبيبة غائبة .. »

- « ولم يعرف أحد بعد أنها هاهنا ؟ »

- « يبدو أن بعض عرائس البحر وجدن نطاقها الأبيض قرب ضفة (ستيكس) .. ولديهن نوع من الشك الذى يوشك أن يغدو يقينًا أن (برسفونى) هنا .. »

تفكر (بلوتو) برهة من الوقت .. ثم غمغم :

ـ « لا بأس .. دعهم يتساءلون .. دعهم يجدون مكانها .. فلن يستطيعوا انتزاعها منى أبدًا .. »

ـ « إن (زيوس) لن يترك العالم دون ربيع .. »

ـ « هذه مشكلة (زيوس) لا مشكلتى .. »

ثم سحب (عبير) سحبًا عائدًا إلى العرش الرهيب ..

★ ★ ★

حاول أن يسرّى عنها ، فراح يريها عجائب مملكته : وادى العقارب السامة ، سهول الأشباح .. كهوف الثعابين .. آبار الخطاة ..

ولم يدر أنه بذلك يزيد ذعر المسكينة ونفورها منه ..

كانت أيامها تزداد سوادًا وجهامة ، وتدريجيًا أضربت عن الطعام تمامًا .. وراحت تذبل ..

آخ ! إن المسكينة لم تدر أنها لن تفيد بهذا شيئًا .. فطالما سبق لها أن طعمت من ثمرات (هيدز) فقد غدا مصيرها أن تنتمى إلى هذه المملكة أبدًا ..

كان هذا حالها حين جاء (أورفيوس) ..

★ ★ ★

في ذلك اليوم سمعت بوق (شارون) الكئيب العميق المشئوم ، يعلن وصول طوفه وعليه (شحنةٍ) أخرى من الهالكين ..

وفي تؤدة مشت إلى ضفة نهر (ستيكس) لتبصر ما هنالك ..

كان (شارون) يحرّك المجداف ، وإلى جواره وقف شاب وسيم باسم المحيا يمسك في يده قيثارًا ، وقد بدا عليه نوع من الحياء ..

ـ « وصلنا يا (أورفيوس) ! »

قالها (شارون) وهو يثب من الطوف ، ويحكم ربطه بحبل ـ هو ثعبان طويل ـ إلى الضفة ..

وفي هدوء رزين نزل (أورفيوس) إلى البر وقيثاره لا يفارق يده ..

وهنا دوى نباح الكلب (سيربيروس) ذي الرأسين ، محاولاً أن يلقّن الضيف الجديد أول دروس الطاعة في (هيدز) ..

لكن الفتى لم يرتدع ، وبحنان ثابت أمسك بقيثاره .. وراحت أنامله الرقيقة تداعب الأوتار ، فتبعث ألحانًا هي .....

هذه ليست ألحانًا ! إن هذه الروعة لا يمكن أن تكون مجرد موجات طولية ناجمة عن تذبذب الأوتار .. إنها السحر بعينه .. إنها الفنّ ذاته لو استطاع أن يعزف .. إنها الجمال ذاته لو استطاع أن يُسمع ..

الكلب يصدر أنينًا حانيًا أقرب إلى المواء .. ويخرّ على أقدامه يرهف السمع .. لقد روضته موسيقا (أورفيوس) !

حتى (شارون) ذاته .. لم يبدُ مندهشًا .. بل رسم على وجهه العظميّ أمارات الاستمتاع ..

كان هذا حين جاء (بلوتو) كغراب البين ..

ـ « ماذا يحدث هنا ؟ »

توقفت الموسيقا ، ووقف (شارون) وقفة شبه عسكرية أمام سيّده .. أما الكلب فتلقى ركلة لا بأس بها أبدًا فى مؤخرته ..

قال (شارون) فى ارتباك :

ـ « إنه (أورفيوس) الموسيقيّ يا سيدى ! »

ـ « يا للعجب ! تشرفنا ! وأنت ملك البلهاء .. »

ثم هرش لحيته فى ملل .. وتساءل :

ـ « من هذا الـ (أورفيوس) ؟ »

ـ « إنه موسيقىَ يا سيدى .. »

ـ « أعلم يا أحمق .. ما هى مهنة رجل يمسك قيثارًا ويعزف عليه ؟! بالتأكيد ليس سبَاكًا .. أريد أن أفهم سرَ جلبه إلى هنا وهو مازال حيًا ! »

قال (شارون) فى ارتباك (كان موقفه سيئًا حقًا) :

ـ « لقد أصرَ يا سيدى .. أصرَ ! »

ـ « أصرَ على ماذا ؟ »

ـ « على أن يرى زوجته ! »

هنا تدخل (أورفيوس) على اعتبار أنه خير من يتحدث عن نفسه .. فخرَ على ركبتيه فى تبجيل .. وهتف :

ـ « مولاى (بلوتو) .. إن كل ماكنت أملكه فى دنيا الأحياء هو قيثارى .. وزوجتى الحبيبة (يوريديس) .. »

ـ « تعنى أن (يوريديس) هذه قد ماتت ؟ »

ـ « نعم يا مولاى .. كانت البائسة قد خرجت لتجمع لى صحبةَ من الزنابق وزهور السوسن ، حين لدغتها أفعى سامةَ أودت بحياتها .. »

نظر (بلوتو) إلى (شارون) فى شك :

ـ « (يوريديس) ؟ هل هذا الاسم عندنا ؟ »

قال (شارون) فى لهجة روتينية :

ـ « نعم يا مولاى .. جاءت منذ شهر .. »

ـ « هم م .. وقد استطاع هذا البشرى أن يروض قلبك الغليظ بموسقاه .. ونجح فى إقناعك بإحضاره إلى هنا ليسترد زوجته الحبيبة ؟! »

أطرق (شارون) فى خجل وغمغم :

ـ « نعم يا سيدى .. وتحمل الرحلة فى شجاعة وإصرار .. عبرت به نهر العدم (أشيرون) .. ونهر النسيان (ليث) .. ونهر الآلام (كوكيتوس) .. وحتى نهر اللهب (فيلجتون) .. لكنه لم يجبن .. إنه يحب زوجته حبًّا غير مُبرَّر على الإطلاق .. لابد أنه معتوه أو ماهو أسوأ .. »

ـ « هوووم ! أرى ذلك .. ولكنك تطلب محالاً يا فتى .. »

واتسعت عيناه لترسلا بريقًا وحشيًّا :

ـ « لا أحد يعود من (هيدز) أبدًا .. لا أحد .. حتى أنت !! »

....

★ ★ ★

٥ - دعونا نغادر (هيدز) ..

راحت أنامل (أورفيوس) تداعب أوتار القيثار ، كأنها تداعب أوتار فؤاد (عبير) ذاتها ..

وفى عينى (بلوتو) الغائمتين لمحت نظرة رفق وحنو .. إذن (بلوتو) ليس شرًّا كله .. إنه يرقّ أحيانًا ..

هنا وجدت أن دورها حان لتؤدى عملاً نافعًا ..

دنت من أذنه العملاقة الشبيهة بأذن سحلية (الإجوانا) - لو كان لهذه السحلية أذن - وفى رقة همستْ :

- « (بلوتو) ! (بلوتوتى) ! »

نظر لها فى شك ، فهو لم يعتد منها هذا اللطف .. فأردفت :

- « دعه يأخذ زوجته ويرحل ! »

- « هه ؟ مستحيل يا ملاكى .. إنها ستكون سابقة خطيرة .. »

- « ماذا يضير لو نقص عدد الأشباح هنا واحدًا ؟



راحت أنامل (أورفيوس) تداعب أوتار القيثار ، كأنها
تداعب أوتار فؤاد (عبير) ذاتها ..

على الأقل سوف يردد هذا الفتى أناشيد تمجيدك فى دنيا الأحياء .. وسيعرف البشر أن (بلوتو) قوى .. لكنه يحلى قوته بالكرم .. »

- « ولكن ...... »

- « هذا هو مطلبى الأول والأخير يا (بلوتوتى) .. »

بعد طول تفكير قال (بلوتو) مغالبًا غصة فى حلقه :

- « ليكن .. ستعود بزوجتك يا (أورفيوس) إلى دنيا الأحياء .. لقد تغلب كرمى الطبيعى .. ولكن عليك ألا تنظر للوراء أبدًا .. فهى تتبعك طيلة الوقت ولو نظرت للوراء فلن تستردها .. »

- « سمعًا وطاعة يا مولاى .. »

قالها الفتى وهو يكاد يجنّ فرحًا ..

إنه أول بشرى ينجح فى استعادة زوجته من (هيدز) .. وفى الأغلب سيكون هو الأخير .....

وجاءت (يوريديس) .. جميلة كما وصفها وأكثر .. ويبدو أن الموت قد ناسب صحتها وزادها رقة وشفافية ..

لكن الفتى لم ينظر إليها كما أمره (بلوتو) ..

وفى صمت مشى ليركب الطوف جوار (شارون) .. وصعدت الفتاة بدورها دون أن تنبس ببنت شفة ..

وبدأ الطوف يبتعد عن الشاطئ ببطء ليغيب فى الضباب ..

هتفت (عبير) فى مرح :

ـ « أنت لطيف يا (بلوتوتى) ! »

قال (بلوتو) وقد استعاد عبوسه القديم :

ـ « نعم .. لكن من يتصور هذا ؟ والآن لنعد إلى جولاتنا الممتعة .. لسوف أريك الآن حفرة النتن .. مصدر كل الروائح الكريهة فى العالم ! »

فما كادا يستديران حتى سمعت صوت المجداف من جديد ..

كان (شارون) عائدًا بالطوف .. لكن الطوف لم يكن خاليًا .. كانت (يوريديس) تقف فوقه دامعة باكية !

هتف (شارون) وهو يربط الطوف إلى الشط :

ـ « الأحمق ! كما هو متوقع لم يطق صبرًا .. أدار وجهه بشكل تلقائى كى يتأكد من أن (يوريديس) تتبعه .. وفى الحال وجد نفسه ملقى جوار نهر

(ستيكس) فى عالم الأحياء ، وعدت أنا بالمرأة إلى (هيدز) من جديد ! »

هزّ (بلوتو) كتفه فى لا مبالاة :

- « لقد قمت بالمطلوب منى .. ولست مسئولاً عن حماقته .. »

يا للوعةَ ! لقد فقد الفتىّ حبيبته للمرة الثانيةَ برغم كونه قد استعادها أو كاد .. البَشَرىَ الوحيد الذى استرد زوجته من عالم الموت .. والوحيد الذى فقدها بعد ذلك .....

لكن المأساة لم تطل كثيرًا ..

فحين عاد (شارون) من رحلته التاليةَ كان (أورفيوس) بين راكبى الطوف .. وغادره هاشًا باشًا كأنما اشتاق (هيدز) كثيرًا !

سألته (عبير) فى حيرةَ :

- « كيف عدت ؟ هل تسللت مرة أخرى ؟ »

- « أوه ! لا .. هذه المرة أنا هنا بشكل رسمىّ .. لقد مُتّ ! لم أتحمل الحياةَ بعد (يوريديس) وقتلنى الوجد .. والآن .. بعد إذنك .. أين أنت يا (يوريديس) ؟ »

- « (أورفيوووووس) ! »

- « (يوريديييييس) ! »

كانا يركضان نحو بعضهما على ضفة نهر (ستيكس) كما يركض (أحمد) نحو (منى) فى الأفلام العربية الرديئة .. وتعانقا فتعالت صيحات الإعجاب والفرحة من حناجر الموتى .. وسالت دمعة تأثّر من عينى (شارون) أو - بعبارة أدق - من مجحرية الفارغين ..

قال (بلوتو) وهو يرمق المشهد :

- « مؤثّر ! إن (شارون) لمرهف الحسّ برغم شكله المخيف .. إن له قلب طفل »

قالت (عبير) متهالفة للبكاء :

- « سنيف ! إن الحب لا يموت .. ما أجملها أسطورة ! »

لكنها لم تكن تبكى تأثرًا فحسب .. كانت تبكى حالها .. متى ينتهى هذا الجزء المريع من حلمها ؟ ومتى يعفو (دى - جى - ٢) عنها ؟

★ ★ ★

كانت النجدة فى الطريق ..

ففى هذه اللحظات كانت الأم المكلومة (ديمترا[٦]) تقلب الأرض بحثًا عن صغيرتها (برسفونى) التى هى (عبير) ..

وإلى قصر (زيوس) فى جبل (الأوليمب) اتجهت ، فلم تقرع الباب ولم تستأذن .. ودخلت فى حزم إلى حيث كان (زيوس) متكئًا على مضطجع وثير ، وجواره تجلس زوجته الأريبة كاسحة الشخصية (حيرا) تداعب طاووسها الأثير ..

كانت (حيرا) قد فقدت وحشها العزيز (آرجوس) ذا العيون المائة منذ فترة ، وعلى سبيل الحداد قامت بانتزاع عيونه ورشقها عينًا فعينًا فى ريش طاووسها .. وهذا هو التفسير الذى وجده الإغريق للعيون المرسومة على ريش الطاووس فى مؤخرة جسده ..

قال (زيوس) فى لطف :

- « مرحبًا (ديمترا) .. تعالى واجلسى .. »

هتفت (ديمترا) فى حنق :

- « لا سلام ولا كلام .. لقد عرفت مكان (برسفونى) أخيرا .. »

حك ذقنه الكثة المتشابكة .. وغمغم :

ـ « أحقًا ؟ أين ؟ »

ـ « عند أخيك (بلوتو) فى (هيدز) ! كان الوغد يبحث عن سلوى .. وقد وجدها ! »

تبادل (زيوس) النظر وامرأته .. ثم قال فى حيرة :

ـ « هذا يعقد الأمور .. لا أستطيع استردادها دون صدام مع أخى .. وأنا لن أخسر أخى من أجل ..... »

ـ « لكنها ابنتى ! »

صاحت (ديمترا) فى تنمر :

ـ « ومن أجلها سوف أهدم العالم على من فيه .. »

قالت (حيرا) فى نعومة وهى ترسم على وجهها تعبير الاهتمام :

ـ « أنت على حق يا حبيبتى .. إن قلبى معك ! »

ـ « لا أريد قلبك .. أريد عونك ! »

قال (زيوس) فى تؤدة :

ـ « دعينا نتعقل يا (دمتيرا) .. إن أحدًا لم يعد من (هيدز) قط .. ولو أن (برسفونى) أكلت شيئًا من ثمرات هذا العالم فلن تغدو منا بعد اليوم .. وهى بالقطع أكلت .. »

قالت (حيرا) متكئة على ساعدها :

- « اسمع يا (جوبتر) .. أنت ..... »

قاطعها :

- « لا تدعينى (جوبتر) .. أنا أمقت هذا الاسم .. »

- « لكن يا (زيوس) .. لِمَ لا تحاول الكلام مع أخيك ؟ »

- « سأحاول لكنه لن يقبل .. »

كان من نوعية هؤلاء الرجال المسالمين ذوى الطبع البسيط ، الذين ظفروا بزوجة قوية الشخصية ترغمهم طيلة الوقت على الشجار مع الآخرين ، والتظاهر بحزم ليس من طبيعتهم .. كانت (حيرا) من طراز الزوجات اللاتى لا يتدخلن فى الصراع .. لكنهنَ يجبرن أزواجهن عليه إجبارًا ، ويصارحنهم طيلة الوقت بأنهم يجب أن يتعاملوا بصلابة أكثر من هذه .....

قالت (ديمترا) مهددة :

- « لن يكون هناك ربيع إلى الأبد ! دع عبيدك يموتون جوعًا وظمأ .. »

هتفت (حيرا) فى عصبية بصوت قوى النبرات :

ـ « أتهددينا ؟ نحن لا نهدد يا حبيبتى ! لو كان لك زوج قوى الشخصية لعرف كيف يعلمك الأدب !! »

كاد الأمر يستفحل حين تدخل (زيوس) مهادنا رافعًا يده :

ـ « لحظة .. لحظة .. لم لا تستعينين بأحد الأبطال لينقذها لك ؟ »

تساءلت (ديمترا) :

ـ « بطل مثل مَنْ ؟ »

ـ « أى بطل إغريقى .. إنهم ـ ولله الحمد ـ يفوقون نجوم السماء عددًا .. هكذا لن أظهر أنا فى الصورة .. لِمَ لا تستعينين بـ (ثيذيوس) ؟ »

هزت (ديمترا) كتفها فى قنوط :

ـ « إنه فى المتاهة يبحث عن (المينوتور) .. »

ـ « إذن عليك بـ (أطلس) .. »

ـ « ومن يحمل الكرة الأرضية إذن ؟ »

ـ « و (برسيوس) و (هرقل) ؟ »

ـ « الأول يبحث عن (ميدوسا) الآن .. والثانى مشغول فى تنظيف حظائر الملك (أوجياس) .. »

ـ « يا للنحس ! إذن من يصلح لهذا الغرض ؟ »

- « أنا يا مولاى ! »

كان قائل هذا رجلاً فارع القامة يقف على مدخل القاعة .. كان برونزى اللون عارى الجذع يكشف عن أضخم عضلات رآها (زيوس) فى حياته السرمدية .. وكان فى يده درع نحاسية ضخمة وفى اليد الأخرى سيف هائل الحجم ، وعلى رأسه خوذة طروادية من النوع الذى تخرج فرشاة من مؤخرته ..

- « من أنت ؟ »

انحنى الرجل لتلمس ركبتاه الأرض .. وهتف :

- « أنا المحارب (بيرياسوس) من (كريت) .. »

نظر (زيوس) إلى المرأتين فى حيرة .. ثم غمغم :

- « لا أذكر أن هذا الاسم ورد فى الأساطير الإغريقية .. على كل حال أيها المحارب .. هل تجد لديك الرغبة والقدرة فى الذهاب إلى (هيدز) لإنقاذ (برسفونى) ؟ »

- « نعم يا سيدى .. سأعود بها سالمة معافاة .. »

- « إن أحدًا لم يعد من (هيدز) قط .. »

- « لأنهم لم يكونوا أنا !! »

مال (زيوس) على أذن زوجته (حيرا) وهمس :

- « ما رأيك ؟ إن هذا المعتوه يبدو متحفزًا

للقتال .. ربما كان قادرًا على ما يزعم عمله .. »
ـ « على كل حال هو يبدو كالآخرين .. »
رفع (زيوس) صوته مخاطبًا المحارب :
ـ « ولكن .. ما الذى يدفعك إلى هذه المخاطرة يا (بيرياسوس) ؟ »
احمرَ وجه المحارب تحت خوذته التى تغطى نصف وجهه .. وقال :
ـ « إننى رأيت (برسفونى) فى المرج مع صاحباتها .. وقد ... أحببتها .. خطر لى أننى لو أنقذتها فلربما .... ربما ...... »
ـ « تزوجتك ؟ »
ضحك المحارب فى بلاهة خجول :
ـ « هئ .. هئ .. هئ .. ربما ..... »
تأملته (دمتيرا) فى ارتياب .. ثم تنهدت :
ـ « لا بأس .. إن زواجها منك لن يكون أسوأ من الموت .. إننى مستعدة لأن أزوّج ابنتى برغوثًا مقابل أن تعود إلىّ .. »
رفع المحارب سيفه العملاق فى الهواء معلنًا تمام الاتفاق .....

* * *

٦ - التحدى ..

كان الموتى واقفين على ضفة نهر (ستيكس) يندبون حالهم ويبكون ، وهم ينتظرون قدوم الطوف الذى يقوده (شارون) النوتى تلميذ الجحيم ..

امرأة شابة لاتكف عن العويل ولطم الخدين :

- « يا للحسرة ! يا شبابى الذى ضاع هدرًا .. ليتك كنت هنا مكانى يا زوجى العزيز (أوركريس) ! »

قال لها المحارب ضخم الجثة الواقف بجوارها :

- « تعنين ليته كان هنا معك ؟ »

- « بل ليته كان هنا مكانى ! »

تفكر هنيهة فى كلامها .. ثم غمغم فى سأم :

- « إنك تحدثين ضوضاء توتر أعصابى .. لا أدرى لماذا تملئين الكون ضجيجًا من أجل شىء تافه كهذا ؟ »

تأملت ثيابه الغارقة فى الدماء .. وتساءلت :

- « هل قتلت فى الحرب ؟ »

- « بل وأنا أقطف الزهور ! طبعًا قتلت فى الحرب .. »

هنا كان الطوف قد وصل .. ويالَه من مشهد رهيب !

(شارون) يقف ـ بابتسامة الموت الكريهة ـ على ظهر الطوف بينما الأمواج الدامية تهبط وتعلـو .. ويهتف فى القوم :

ـ « هلمـوا يـا حمقـى ! فليصعـد كل مـن أنـادى اسمه .. »

ـ « الويل ! »

وراح يتلو أسماء القوم من قائمة يحملها .. فكلما سمع أحدهم اسمه صعد إلى ظهر الطوف الرهيب ..

أخيرًا بقى الجندى وحده ..

صاح الجندى فى حيرة :

ـ « وأنا يا سيد (شارون) ؟. لم تنادِ اسمى .. »

نظر لـه (شـارون) فـى حـيرة بـدوره ، وأعـاد تفحص القائمة .. أخرج عوينات من جيبه ثبتها على أنفه المجدوع وغمغم :

ـ « ما اسمك ؟ »

ـ « أنـا المحارب (بيرياسوس) ابن (هيلانـة) من (كريت) »

ـ « هم م .. هذا غريب !.. ليس اسمك هنا .. هل أنت واثق بكونك ميتًا ؟! »

صاح (بيرياسوس) فى حنق :

- « وهل أنا معتاد على المزاح معك ؟ لقد اخترقت جسدى ستة رماح كاملة ، ثم ربطوا جثتى إلى الخيول وجروها ميلين فوق الحصى .. أنا ميت جدًا إذا صح التعبير .. »

حاول (شارون) أن يعترض ، لكن المحارب كان حانقًا غاضبًا يشعر بأنه قد تم التلاعب به .. هذه مشكلتكم لا مشكلتى .. لقد متّ والآن تأبى أن تأخذنى إلى (هيدز) .. ولا أحد يستطيع إعادتى إلى دنيا الأحياء .. أين أذهب إذن ؟ أنا (لا منتمٍ) ..

- « ولكن ..... »

- « ثم هل رأيت من قبل من يرغب فى الذهاب إلى (هيدز) على سبيل السياحة ؟ قد يفرّ المرء من عندكم لكنه بالتأكيد لا يفرّ إليكم .. »

وهكذا لم يجد (شارون) البائس مفرًا من إركاب هذا الميت المزيف على ظهر الطوف .. ما الضرر ؟ هو لن يعود على أى حال ..

وراح الموكب الحزين يتوارى وسط الضباب حيث لم يعد باديًا للعيان ..

* * *

كانت (عبير) هى أول من أدرك أن هذا المحارب العملاق ، الذى لا يترك رائحة عفنة وراءه ، له ظل على الأرض على نقيض الموتى الآخرين ؛ هو كائن حىّ يرزق مثلها ..

أدركت كذلك أنه يحمل وجه (شريف) زوجها !

هذا يعنى أن مغامرتها ستكون معه .. لقد عودها (دى جى ـ ٢) على ذلك فى قصتها مع غزاة الفضاء ومع رعاة البقر ..

ودنت منه خلسةً لتعرف قصته ..

فما إن رآها حتى تورد وجهه ، وهتف بصوت واجف :

ـ « (برسفونى) ! »

ـ « لا تقل أن اسمك هو (الجوّال) .. »

ـ « لا .. أنا (بيرياسوس) أشجع محاربى (كريت) .. »

ـ « إن القبور تغصّ بالشجعان .. »

ـ « لكنى لست ميتاً .. »

وتلفت حوله ليتأكد من أن أحدًا لا يصغى لما يقال .. ثم أردف :



كانت (عبير) هى أول من أدرك أن هذا المحارب العملاق ، الذى لا يترك رائحة عفنة وراءه ، له ظل على الأرض على نقيض الموتى الآخرين ؟ ..

ـ « أرسلنى (زيوس) لإنقاذك .. »

قالت فى مرارة :

ـ « سيكون هذا رائعًا لو أوضحت لى كيف .. »

ـ « سنأخذ الطوف ونعود به .. »

ـ « ألم تفهم بعد ؟ لا أحد يمكنه عبور نهر (ستيكس) سوى (شارون) .. وهو لن يفعل هذا لجمال منظرك .. »

ـ « (بيرياسوس) ! »

دوّى صوت (بلوتو) الجهورى الرهيب ، فأجفل (بيرياسوس) واستدار ليرى الشيخ العملاق يقف عاقدًا ذراعيه على صدره فى تحدّ .. ابتلع الفتى ريقه ووقف ينتظر كارثةً ما ..

قال (بلوتو) فى هدوء منذر بالويل :

ـ « لقد تحققت من الأمر .. لا توجد حروب فى (كريت) .. ولم يمت المحارب (بيرياسوس) قط .. أنت متسلل ! جاسوس أرسله (زيوس) أخى لخطف (برسفونى) .. إن (شارون) الأحمق يشيخ ويزداد غباءً .. تارة يحضر لى (أورفيوس) وتارةً يحضر لى (بيرياسوس) .. »

تصلب جسد المحارب ، وقد أدرك أنه ضائع لا محالةَ .. من ثَمَّ أزمع أن يكون تحديه كاملاً :

- « يا سيدَ الظلام .. جئت هنا كى آخذ (برسفونى) .. ولن تقدر على منعى .. »

اتسعت عينا (بلوتو) المخيفتان ولم يدر ما يقول .. حين يتضاءل حجم من يتحدّاك إلى حدّ لا يوصف ، يرتج عليك القول وتعجز عن الردّ عليه .. كذلك المشهد الذى أداه (محمد صبحى) باقتدار وهو يواجه القزم الذى يردد : (ماتقدرش !) ..

حين استطاع - أخيرًا - أن يتكلم .. قال فى حنق :

- « ألم تفهم بعد أنك ضائع أيها البشرى ؟ »

- « لكنى أتحدّاك .. »

هنا برز (شارون) وحوله رهط من الزبانية يحملون السياط والمناجل الحديدية .. وراح الكلب (سيربيروس) ينبح فيتساقط الزبد من أشداقه الأربعة ليحرق الأرض .. وقال (شارون) وهو يشمر عن ساعديه العظميين :

- « هل نحوله إلى (كفتة) الآن يا ريِّس ؟! »

احتضن المحارب (برسفونى) ليحميها .. وشهر سيفه ..

هنا صاح (بلوتو) رافعًا ذراعه :

- « لحظةً يا شباب .. لقد بدأ هذا المعتوه يروق لى .. إننى أحب هذه الرومانسيةَ البلهاء .. المحارب الجسور يخوض الوغى من أجل حبيبته .. هل تظن حقًا يا (بيرياسوس) أنك قادر على حمايتها ؟ »

- « بالتأكيد .. أو أموت دونها .. »

انفجر (بلوتو) يضحك .. يضحك فتهتز أشجار الثعابين .. يضحك فتندلع النيران من آبار التعذيب .. يضحك فتتعالى صرخات الأشباح ..

- « إنه يحسب .. هاهاهاه ! يا له من ساااا .. هاهاهاه .. ذج !.. هى هى هى! عنفوان الشبااا .. هه هه هه ! »

أخيرًا مسح دموع الضحك من عينيه .. وقال بصوت حادّ :

- « حسن .. إننى أمنحك فرصةً .. »

- « وما هى ؟ »

- « ستعود إلى دار الأحياء مع (برسفونى) ! لكنك - قبل هذا - ستمرّ بها عبر أهوال لا تصدق .. عشرةَ أهوال هى أبشع ما ورد فى الميثولوجيا الإغريقية .. »

- « (ميثولو .....) ماذا ؟ »

- « ميثولوجيا .. لا عليك .. هذا هو ما سيسمون ما نحن فيه بعد قرون .. والآن سيكون عليك أن تخرج من كل هذه المآزق حيًا ومعك (برسفونى) حيةً هى الأخرى .. وأنا أراهنك على أنك ستفقدها وستعود إلىّ لأنها ملكى .. »

بدا الرضا على (بيرياسوس) فخفض سيفه .. وتبادل نظرةً مع (عبير) .. ثم تساءل :

- « وإذا ظلت حيةً واجتزنا كل شىء ؟ »

- « عندئذ تكون لك إلى الأبد .. »

- « لا بأس .. أنا موافق ... »

قال (بلوتو) وهو يفرك كفيه متلذذًا :

- « أنت تحسب الموت قابلاً لأن تتحدّاه .. وتحسب الحبّ لا يموت .. وتحسب أن حبيبتك ستنجو لأنك تريد هذا .. كل هذا الهراء الذى ملأ به شعراؤنا (فرجيل) و (هوميروس) رأسك .. لكنك ستزداد حكمةً يا عزيزى (بيرياسوس) .. أعدك أن تزداد حكمةً ! »

قال (بيرياسوس) :

- « وإذا ساعدنى (زيوس) أو أحد سادة (الأوليمب) ؟ »

- « آه .. لا بأس لا بأس .. هذا سيزيد متعة المشاهدة .. »

ونظر إلى (شارون) وصاح فى ضيق :

- « ماذا تنتظر يا كالح الوجه ؟ خذ هذين العزيزين إلى طوفك ! »

لم يبد (شارون) على استعداد لقبول هذه التحولات ، لكنه صدع بالأمر .. وسأل (بلوتو) قبل أن يرحل :

- « أآخذهما إلى دنيا الأحياء ؟ »

- « كلاّ يا أحمق .. خذهما إلى (أنتيوس) أولاً ! »

وكان هذا مخيفًا ..

فى الصفحات القادمة نعرف من هو (أنتيوس) هذا .....

* * *

٧ - من أجل (برسفونى) ..

أوصلهما (شارون) إلى الشطّ ، وتمنى لهما حظًّا سعيدًا ، وليتَه ما تمنى ؛ لأن أمنيات وجهه الكالح تغدو كوارث على الفور ..

وسرعان ما غاب الطوف فى الضباب ..

وفى وجدانها خطر لـ (عبير) أنه مهما بلغ من وعورة ما سيلقيان ، فهو خير من (هيدز) المقيتة ..

ثم إنها لم تكن تشعر بغربة ولا خوف مع (بيرياسوس) ، كتلة العضلات وسلاح الدمار الشامل هذا ..

إن وجهه القسيم الذى اقتبسه من وجه (شريف) زوجها ليبعث الألفة والرضا فى روحها .. ففى هذا العالم تغدو المشكلة أن القادرين على حمايتك من الخطر ؛ هم خطرون فى حدّ ذاتهم .. لكن هذا المحارب الكريتى يحبها حقًّا .. ويجلّها حقًّا .. ولن يؤذيها حتمًا ..

للّه ما أروع الأحلام !

هى ذى تلعب لعبة جديدة شائقة .. اليوم هى أميرة إغريقية يهيم بها أحد أبطال الأساطير غرامًا ، ويدافع عنها بسيفه مستعدًا للموت مقابل بسمة منها ..

فى عالم الواقع لن يحدث أبدًا أن يقبل أى صعلوك الإصابة بالزكام مقابل حمايتها من الموت .....

إن هذا ... كلاب !.. كلاب !.. كلاب !..

صوت حوافر جواد ...

والتفتت هى ورجلها نحو مصدر الصوت ، ليسمعا - قبل أن يريا - صوت وحش يزأر ..

وحين رأت مصدر الصوت أدركت أنه كائن غريب .. رجل فى نصفه العلوى له ملامح وجه مشوهة ، وشعر أشقر خشن يغمر وجهه كأنما غطى رأسه بحزمة كتان ..

أما نصفه السفلى أو الخلفى فكان على شكل جسد حصان .. حصان كامل يركض على حوافر أربعة .. ولكنه بدون رأس ..

كان النصف العلوى مكتنزًا بالعضلات ، ويحمل رمحًا يقذفه فى وضع رياضى على مجموعة من الأيل المذعورة ..

واستقر الرمح فى خاصرة إحداها ، فهوت أرضًا تتشحط فى دمها .. وضرب الكائن المفزع صدره بقبضتيه كالغوريللا .. وأطلق زئير انتصار مريعًا ، دوَى فى الآفاق :

ـ « هيااااااااااه !! »

هتفت (عبير) وهى تمسك بذراع (بيرياسوس) :

ـ « (بيرياسوس) ! لا أعرف كنه هذا الشىء .. لكن قلبى يحدثنى بوجوب الفرار من هنا .. »

قال لها فى لا مبالاة باسمة :

ـ « هل هذا يثير فزعك ؟ إنه (شيرون) ! »

ـ « تعنى (شارون) ؟ »

ـ « بل (شيرون) .. (السنتور) أو (القنطورس) كما يحلو لبعض المترجمين العرب أن يسموه .. »

ثم نقر على صدره فى فخر :

ـ « إنه من علَم كل الأبطال الإغريق فنون السيف .. علم (هرقل) و(أخيل) وسواهم .. وبالطبع علمنى .. إنه ليوم سعد ! على كل حال ، معنى هذا أننا فى شمال غرب إفريقيا .. قرب جبل (طارق) كما سيسمونه بعد فتوح العرب .. »



واستقر الرمح فى خاصرة إحداها ، فهوت أرضاً تتشحط فى دمها ..

ثم أطلق صيحة داوية ينادى بها (السنتور) :

ـ « أوهييـه ! (شيرون) ! أنا (بيرياسوس) ! »

اندفع الوحش يخبّ بحوافر الحصان على الكلأ ، قاصدًا (عبير) والمحارب ..، وعلى وجهه ـ الشبيه بوجه الحرباء ـ ارتسمت علامات الإعجاب واللهفة .. شيء ما شبيه بهما .....

وارتمى (بيرياسوس) فـى حضن (السـنتور) كريه الرائحة يعانقه .. ويربّت على كفلـه .. وراح الحافر الأمامى يضرب الأرض فى فرحة ..

ـ « أوهيااااه هووووه هوااااه ! »

ـ « نعم نعم .. وأنا كذلك يا عزيزى .. ولكن هل سمعت عن عملاق يُدعى (أنتيوس) ؟ »

ـ « أوهاااه هيووهااااااه ! »

ـ « آه ! خطـر إلى هـذا الحدّ ؟ لقـد جئـت كـى أقتله ! »

ـ « نياهاهاهاهاه !.. هى هى هى ! »

ـ « ربمـا أنـا كمـا تقـول .. لكنـى مصمـم على المحاولة .. أنت تعرفنى .. »

ـ « هيااااااه .. واه واه .. هى ى ى ! »

التفت (بيرياسوس) إلى (عبير) ليفسر لها هذه الكلمات :

- « يقول إن (أنتيوس) هو مارد أجير لدى قوم من الأقزام .. وهو يأخذ راتبًا لا بأس به من أجل حمايتهم .. »

- « آهي آهاه ! »

- « يقول كذلك : إن المفترض أن (هرقل) هو من سيقتله .. لكن الاختيار وقع علينا نحن .. »

وهنا اهتزت الأرض تحت خطوات عملاق يدنو ، وأطلق (شيرون) عنانه موليًا الأدبار .. ، وأيقنت (عبير) أن القادم هو (أنتيوس) .. ولم يعد لديها شك الآن حين رأت رأسه الرهيب العملاق يبرز فى الأفق ..

كان قادمًا من أجلهما ......

- « (بيرياسوس) .. دعنا نهرب ! »

- « وتعودين لـ (بلوتو) ؟ هذا لن يكون ! »

فى اللحظة التالية هوت كف (أنتيوس) على الأرض جوارهما ، لتهشم الصخور التى عليها يقفان .. وارتمى الكائنان الضئيلان جانبًا ليتفاديا محاولة أخرى ..

قال (بيرياسوس) لاهثًا :

ـ « المشكلة هى أن (هرقل) يماثله فى الحجم .. أما نحن فنملتان بالنسبة له .. ! »

راح الاثنان يتسلقان الجبل محاولين الفرار من يد هذا الـ (أنتيوس) .. لكن المحاولة لن تكون سوى إطالة للنهاية .. فلن يلبث أن يصعد وراءهما .. وعندئذ ......

بالفعل تشبث (أنتيوس) بالصخور بكلتا قبضتيه ، ورفع قدميه عن الأرض وهو يزأر كالبركان ، لكن صرخات (عبير) كانت أقوى ! وفجأة وهنت قبضته وتراخت .. وسقط ..

هتف (بيرياسوس) :

ـ « هل فهمت ؟ إنه يستمد قوته من أمه الأرض (جى) .. وحين يرفع قدميه عنها يضعف .. إنه يكون فى كامل عنفوانه حين تلامس قدماه الأرض .. وهذا معناه أن خلاصنا ممكن ! »

كانت هناك حبال غليظة .. من أين جاءت ؟ لا يهم .. المهم أنها كانت هناك .. وسرعان ما راح (بيرياسوس) يربط أطراف حبلين غليظين إلى

الصخور .. ثم صنع أنشوطتين من الطرفين الحرَين للحبلين .. وأمسك واحدة وناول الأخرى لـ (عبير) :

- « هيا .. إن التزامن مهم جدًا .. سأصوب الأنشوطة إلى معصمه الأيمن حين يمده نحونا .. وأنت عليك بالمعصم الأيسر .. »

وارتفعت يد (أنتيوس) نحوهما تحاول الظفر بواحد منهما أو بكليهما معًا .. لكن أنشوطة (بيرياسوس) انطلقت لتلتف حول معصم العملاق .. اهتزت الأرض وارتجت لكن المعصم ظلّ معلقًا ..، وفى اللحظة التالية طارت أنشوطة (عبير) لتلتف حول المعصم الأيسر ..

لقد حوصر العملاق ! هو ذا يتدلى من معصميه مربوطًا إلى قمة الجبل .. وقد ابتعدت قدماه عن الأرض ..

راح يطلق صرخات رهيبة .. تزداد وهنًا .. فوهنًا .. حتى خرس تمامًا ..

عندها استجمع (بيرياسوس) شجاعته ، وهبط فى الصخور حتى وصل إلى مستوى عنق العملاق .. وأولج سيفه فى عروق رقبته النافرة .. وفى الوادى

احتشد نهر من الدماء الحمراء القانية ..

كان هذا هو الخطر الأول من أخطار (بلوتو) ...

لقد اجتازاه بنجاح .....

★ ★ ★

كان هناك جبل شامخ يحجب البحر عنهما ـ لكنه كان مليئًا بالفجوات الضخمة التى تفصلها أعمدةً يعلو بعضها بعضًا ..

بدا المشهد غريبًا لـ (عبير) ، فقال لها (بيرياسوس) :

ـ « هذا هو ما نسميه أعمدة (هرقل) .. وستسمونه أنتم ـ يومًا ما ـ (بوغاز جبل طارق) .. كان (هرقل) يحاول الوصول إلى (أطلس) .. لكن هذا الجبل كان يعترض طريقه .. من ثَمَّ استشاط غضبًا وراح يضربه بمجمع قبضتيه حتى فتح هذه الفجوات فيه .. وهى التى سنعبر منها .. »

وعبرا أعمدة (هرقل) التى وصفها كل الجغرافيين العرب فى الماضى ؛ لكنهم لم يحكوا قصتها .. كان العرب يتعاملون بحذر مع التراث الإغريقى ، ولم يترجموا منه إلا أقل القليل .. لأنه تراث وثنى قائم

على تعدد الآلهة إلى حدٍ كبير ..

على الناحيةِ الأخرى من الأعمدة كان هناك مشهد مألوف إلى حدٍ ما برغم غرابته ..

العملاق المليء بالعضلات ، والذى يقف حاملاً الكرة الأرضيةِ وقد تقوس ظهره ، وأوشكت الدماء أن تنفجر من شرايينه ..

ـ « هذا هو (أطلس) ! »

فتحت (عبير) فاها فى ذهول ، وبللت شفتيها الجافتين بلسانها .. وبصوت مبحوح قالت :

ـ « مشهد رهيب ! ولكن ـ إذا كان ما يحمله هو الكرة الأرضيةَ ـ ما الذى نقف عليه إذن ؟! »

قال (بيرياسوس) فى لامبالاة :

ـ « المفترض أن (أطلس) لا يحمل الكرة الأرضيةَ .. عمله أساسًا هو حمل السماء حتى لا تسقط فوق رءوسنا .. لكن خيال الشعراء والمثالين والنحاتين رأى أن يحمل (أطلس) الكرة الأرضية .. هذا خطأ شائع .. لكنه صار عسير التصحيح .. »

ثم دنا من العملاق .. وأقرأه السلام :

ـ « سلام يا (أطلس) .. أنا (بيرياسوس)

المحارب ومعى (برسفونى) ابنة (دميترا) .. نحن عائدان من (هيدز) .. »

نظر (أطلس) نحوهما دون أن يجرؤ على إدارة عنقه .. اكتفى باستعمال عينيه .. وقال بعد هنيهة :

- « أنباء مثيرة .. لكنها لا تعنينى .. »

ثم - كأنما تذكر - هتف فى اهتمام :

- « عائدان من (هيدز) ؟ إذن أنتما المعتوهان اللذان ...... ؟ إن لدىّ رسالة لكما من (شارونّ) .. يقول لكما إن عليكما تحرير أخى الحبيب (بروميثوس) .. »

- « (بروميثوس) ؟ لكنه فى (القوقاز) .. ونحن هنا فى شمال إفريقيا .. »

قال (أطلس) وهو يشير بعينيه إلى الوراء :

- « لهذا جلب لكما (بيجاسوس) ! »

(بيجاسوس) ؟ ونظرت (عبير) إلى الوراء لتراه .. الجواد الأبيض المجنح رائع الجمال .. يرفع عنقه فى شمم ويحفر الأرض بحافر قدمه الأمامية .. ويصهل .....

قال (أطلس) وهو يصلح وضع الكرة الأرضية فوق كتفيه :

- « يمكنكما استعماله للذهاب حيثما تريدان .. ولكن قل لى أيها الزميل .. هل معك لفافة تبغ ؟ »

- « معذرة .. فهى لم تخترع بعد .. »

- « اللعنة ! إننى أنتظرها منذ أربعة قرون .. ولا أستطيع ترك الكرة الأرضية ، وإلا بدأت الزلازل والفيضانات .. حسن .. يمكنكما الرحيل الآن .. وأبلغا تحياتى إلى أخى ..! »

- « لك هذا يا (أطلس) .. »

واتجه (بيرياسوس) إلى الحصان .. فوثب فوق ظهره دون جهد .. وإن راح الجناحان الأبيضان يهتزان فى توتر ..، ودعا (عبير) إلى أن تصعد خلفه .. لم يكن هذا عسيرًا عليها ؛ لأنها وقعت فى غرام الحصان من النظرة الأولى ..

- « هيا يا (برسفونى) .. تشبثى بظهرى .. »

كانت حاملًا فى شهورها الأولى .. لكن هذا فى أرض الواقع .. بالتأكيد لا يوجد إجهاض فى (فانتازيا)

حتى لو ركبت الحامل صهوة حصان .. وحصان مجنح كذلك !!

لوح (بيرياسوس) بسيفه فى الهواء ، ويدا (عبير) تتشبثان بخصره ، فبدا كأفيش أحد أفلام الأساطير .. وصاح بصوت زلزل أعمدة (هرقل) :

- « إلى القوقاااااااز ..! »

* * *



لوح (بيرياسوس) بسيفه فى الهواء ، وبدا (عبير) تتشبثان بخصره ..

٨ - (بروميثيوس) .. (سيزيف) ..

وأشياء أخرى أكثر من أن أتذكرها !

رائع هو مشهد (إفريقيا) وقد تحولت إلى سجادة عند قدميك .. ثم جنوب (آسيا) .. فشمالها .. ثم القوقاز ..

الجبال الشامخة فى كل مكان ، والجوّ يزداد برودة ..

تلتصق (عبير) بظهر فارسها ، وتسأله وأسنانها تصطك :

- « بررررر ! مـ .. من هو (برررررميثوس) ؟.. بررر ! ولـ .. لماذا هو سسسسسسسجيييين ؟! »

وتساءلت فى سرها : كيف يحتمل (بيرياسوس) أن يظل عارى الصدر فى هذا الطقس ؟ لكنها كانت تعلم أن الأبطال الإغريق لا يصابون بالالتهاب الرئوى أبدًا .. يواجهون العواصف والسيول بعضلاتهم العارية .. ولم يحدث أن شكا أحدهم من الزكام .. لو حدث هذا لحكاه (هوميروس) ..

قال لها (بيرياسوس) :

- « إن (برومثيوس) هو نموذج البطل اللامعقول .. البطل العبثى مثله مثل (سيزيف) الذى سيكتب (ألبير كامى) كتابًا كاملاً عنه .. هناك قصيدة عن (برومثيوس) كتبها شاعركم التونسى العظيم (أبو القاسم الشابى) .. هل قرأتها .. »

- « ررر .. ربببببما!!!!! .. »

- « لقد كان (برومثيوس بن يابتوس) عملاقًا أحب البشر .. لهذا قرر أن يهدى البشر أعظم اختراع عرفوه : النار .. ولم يكن هؤلاء يعرفون النار .. كانت حكرًا على آلهة (الأوليمب) .. لكن (برومثيوس) سرقها .. ووضعها فى معبد (دلفى) حيث تحافظ عليها العذارى .. وعلى كل من يريد قبسًا من النار أن يجلب وعاء إلى المعبد ليأخذ فيه بعضها .. »

- « ع .. ع .. ع .. عمل .. خيييير ! »

- « لم ير (زيوس) رأيك هذا .. لقد جُنَّ غضبًا وقرر أن يعاقب (برومثيوس) عقابًا أبديًا خالدًا .. أحضروه له مكبلاً بالأصفاد ، فأمر أن يعلقوه بين جبلين من جبال القوقاز ..، ثم سلط عليه رخًا عظيمًا ينوشه ، ويمزق كبده ثم يلتهمه ، ويفارقه إلى غد ..

وفى الليل تلتئم جراح (برومثيوس) وينبت له كبد جديد ..، ويعود الرّخ فى الصباح ليواصل مهمتّه المشئومة ويتكرر المشهد أحقابًا فأحقابًا دون توقف ! »

-.« عقاااااب ب .. شنيييييع ! »

ضحك (بيرياسوس) فى مرح ، وهتف :

- « إنه ليس أسوأ عقاب فى الأساطير الإغريقية .. خذى عندك - على سبيل المثال - عقاب (ميدوسا) التى مسخها (زيوس) إلى وحش مريع شعره أفاع ونظرته تحيل البشر أحجارًا .. »

ثم أشار لها إلى الوادى الذى فوقه يطيران :

- « انظرى ! هو ذا عقاب آخر .. »

كان هناك رجل يقف عند سفح أحد الجبال ، ومعه صخرة عملاقة .. ورأت (عبير) الرجل يبذل جهدًا جهيدًا لدحرجة الصخرة إلى قمة الجبل ، بعد لأى استطاع أن يصل إلى هناك ، وهنا انزلقت الصخرة لتهوى من فوق القمة إلى أسفل ..، وعاد الرجل - البائس - يهبط الجبل ليبدأ مهمته الكئيبة من جديد ..

- « إنه (سيزيف) ! »

- قال (بيرياسوس) فى استمتاع :

- « يمرّ بالتعذيب المروع الأبدى الذى أجبره عليه

(زيوس) .. هذا هو البطل العبثى الحق .. البطل اللامعقول .. إنه يقوم بمهمة لا جدوى منها أبدًا لكنه يمارسها دون كلل .. كل هذا الكفاح لن يُكلَل بالفوز وهو يعلم ذلك لكنه يكافح .. لقد كتب الفيلسوف الفرنسى (ألبير كامى) كتابًا كاملاً بعنوان (أسطورة سيزيف) .. » يقول فيه إننا جميعًا نحارب فى الحياة بلا جدوى كلنا (سيزيف) ..

ارتفع الحصان المجنح لأعلى .. ثم عاد يهبط قرب مجرى أحد الأنهار ، وبالتالى استطاعت (عبير) أن ترى الرجل الذى يحاول أن يشرب من النهر .. لكن الماء يتراجع مبتعدًا عنه ، يحاول نفس الرجل أن يقتطف ثمرة من غصن شجرة .. لكن الغصن يرتفع بعيدًا عن متناول يده ..

ـ « هذا فنّ آخر من فنون التعذيب الإغريقى .. »

قالها (بيرياسوس) مواصلاً الشرح :

ـ « هذا البائس هو (تنتالوس) ملك (فريجيا) الذى عاقبه (زيوس) بهذه الطريقة الفريدة .. إن عذابه لعبقرى ، ولسوف يتذكر أحد الكيميائيين السويديين هذا العذاب يومًا ما ـ عام ١٨٠٢م ـ وهو

يحاول استخلاص أحد الفلزات الجديدة من أكسيدها .. لهذا سيسمى الفلز باسم (تنتالوم) لأنه تعذب بسببه كثيرًا(*) ! »

فما إن أنهى جملته ؛ حتى دوى الصدى يردد آخر لفظة قالها :

ـ « كثيرًا .. ران .. ران .. ران .. ران ! »

قال لـ (عبير) وهو يشير إلى بقرة تمشى فى الوادى تحتهما :

ـ « هذه البقرة كانت فتاة حسناء أحبها (زيوس) وأثارت غيرة (حيرا) زوجته .. »

ـ « زوجته .. تِه .. تِه .. تِه .. تِه ! »

ـ « لهذا مسختها بقرة .. وحكمت عليها بأن تردد آخر كلمة من أى كلام تسمعه .. وأطلقت عليها اسم (إيكو) .. ومن يومها والصدى معناه (إيكو) فى أغلب اللغات اللاتينية .. »

ـ « لاتينية .. يَه .. يَه .. يَه ! »

قالت (عبير) من بين أسنانها :

ـ « إننننك واسسسسسع العععلم .. للكن ههلا

(*) الكيميائى السويدى (إكبرج) .

وجدتنت .. هذا الـ (برومثيـووس) الآآن قبـل أن أتنتجمد .؟ »

ـ « لك هذا يا ملاكى .. لقد وصلنا بالفعل ! »

ومن بعيد تبدى المشهد المروع ..

كان هناك عملاق يقف ، وقد تدلّى جسده من ذراعيـه .. والذراعـان مربوطتـان بجنـازير حديديـة غليظة إلى قمتى جبلين ..

والعملاق يحاول التملص من أسره دون جدوى ..

كواااااااك !

ارتجت الجبال من صيحة الطائر الرفيعة المدوية الشريرة ، وسرعان ما رأيا الرخّ .. أشبه بنسر عملاق تبدو عليه الشراسة والإجرام ، كان قادمًا من وراء القمم النائية ..

ورأياه ـ فى ذعر ـ ينقض على (برومثيوس) ، وراح بمنقاره العملاق يمزق جدار بطنه .. الدم ينتثر فى كل صوب .. صرخات البطل تدوى .. الرخّ يمد منقاره لينتزع كبد (بروميثيوس) :

يرفع رأسه إلى السماء ليحسن الازدراد .. ثم يطلق صرخة مريعة .. ويفرد جناحيه ليحلق مبتعدًا ..

كانت (عبير) على وشك التقيؤ من هول المشهد ..

أما (بيرياسوس) فقد ألقى دعابة على سبيل تخفيف التوتر العام :

- « بواه ! إن هذا المشهد كفيل بجعلك تكرهين شطائر الكبد طيلة حياتك ! »

لكنها لم تبتسم ..

قال لها وهو يمتشق حسامه ، ويجذب لجام (بيجاسوس) كى يهبط إلى الأرض بعد رحلته الطويلة :

- « مهمتنا الحالية هى تحرير (برومثيوس) .. »

أرجل الحصان الأربعة تلامس الأرض ، يطلق صهلة أخيرة ثم يطوى جناحيه إلى جانبيه ، يهبط البطلان الذكر والأنثى مترجلين .. ويمشيان إلى حيث يقف (برومثيوس) التعس بين الجبلين ..

عملاق هو .. حتى إن إصبع قدمه الكبير كاد يقارب طول (بيرياسوس) .. لكنه كان يتأملهما من عل معدوم الحول والقوة ، وقد أغمض عينيه وتدلى رأسه على صدره فى إنهاك ..

هتف (بيرياسوس) فى مرح :

- « هيه يا (برومثيوس) !.. كيف حالك ؟ »

سمع العملاق الصوت ففتح عينًا واحدة يرى بها من هنالك .. ثم رأى ألا أهمية للأمر فأغمضها ثانية .. وغمغم :

- « كيف ترى حالى يا أحمق ؟ إن الكبد الممزق لا يجلب كثيرًا من السعادة لصاحبه على ما أظن .. »

- « جئنا لنحررك .. »

- « نية حميدة .. ولكن كيف ؟ »

- « قد رحل الرخ ويمكننا أن نتدبر الأمر .. »

- « لن يلبث أن يعود .. يحتاج إلى فترة لهضم كبدى .. هذا هو كل شىء .. »

- « على كل حال لدينا وقت كاف .. »

واتجه إلى سرج الجواد فأخرج قربة من الجلد ملأى بسائل .. ثم اعتلى صهوة الفرس ، ولكزه بكعبيه ، فارتفع الحصان فى الهواء وهو يرفرف بجناحيه .. حتى دنا من وجه العملاق (برومثيوس) ..

فتح (بيرياسوس) القربة ، ودنا بها من فم (برومثيوس) .

- « هذا السائل هو كحول نقى .. سأصبه فى فمك لكن لا تبتلعه .. عليك أن تحتفظ به هناك وتبصقه حين أقول لك .. »

- « ولكن .. جلوك جلوك ! »

حاول (برومثيوس) الاعتراض .. لكنه إذ فتح فاه وجد عشرات الجالونات من الكحول تملؤه .. فراح يحاول الاعتراض بعينيه .. فقلبه ..

وشرح له (بيرياسوس) تفاصيل الخطة .. فهزَّ هذا رأسه موافقًا ..

بعد دقائق كان الوضع مستقر ......

كوااااااااك !..

لقد عاد الرخ .. عاد ليواصل مهمته الشنيعة ..

وفى ثانيتين كان هناك عند بطن (برومثيوس) الدامية .. يوشك أن ينتزع بمنقاره المزيد من لحم الكبد ..

- « الآن ! »

صرخ (بيرياسوس) بأعلى صوته ، فسمعه (برومثيوس) .. وفتح فاه ليبصق الكحول كله على الرخ ، الذى ابتل ريشه كفرخ صغير تلوث بالمحّ وهو يغادر بيضته ..

فى اللحظة التالية انطلق (برباسوس) .. بحصانه المجنح ، حاملاً شعلة عملاقة فى يده ؛ انطلق نحو الرخ ، وحام حوله .. ثم أحكم التصويب ورماه بالشعلة .. ويالهول المنظر !

ليتكم كنتم هناك لتوفروا علىّ عناء الوصف ..

لقد استحال الرخ إلى كتلة عملاقة من النيران ، وارتفع إلى عنان السماء بينما قذائفه وشظاياه تطير فى كل حدب وصوب . لقد غدا القوقاز جزءًا من جهنم .. حفلاً لألعاب نارية يديرها مخرج مجنون .. وارتفعت الشعلة إلى السماء ثم هوت بسرعة جنونية لتصدم الأرض ، وراح الدخان يتصاعد منها .. وهمدت تمامًا .....

لقد هلك الرخ !

لوح (بيرياسوس) بسيفه وأطلق صيحة نصر داوية ، راحت تتردد فى أرجاء القوقاز ..

ثم هبط بجواده .. وأشار إلى (عبير) كى تلحق به فوق صهوة (بيجاسوس) ، وجذب العنان ليرتفع الحصان إلى أعلى ..

صاح (برومثيوس) فى فرح :

- « أحسنت صنعًا أيها المحارب .. أنت إذن مُخلصى .. ولكن هلا فككت هذه الأصفاد عنِ معصمى ؟ »

هتف (بيرياسوس) وهو يدور بجواده حول رأس البطل الأسير :

- « هى قيود صبها (هيفايستوس) ذاته يا (برومثيوس) .. وبالتالى أنا عاجز عن خدشها .. ربما كان الأوفق أن تنتظر حتى يأتى (هرقل) ليحررك .. فهو قادر على انتزاع الجبلين من مكانهما لو شاء ! »

- « لكن .... »

- « أنت الآن فى مأمن من الرخَ .. لن تعانى آلام تمزق الكبد ثانية .. هذا كاف بالنسبة لى .. »

كان يصيح بعبارته الأخيرة ، بينما (بيجاسوس) يبتعد فى الأفق عن مسرح الحادث ، ودخان الرخَ المحترق يحجب المرئيات عن عينى (برومثيوس) الذى صار آمنًا لكنه لم يصر حرًا بعد ....

★ ★ ★

قالت (عبير) وهى تتأمل قمم الجبال تركض تحتها :

ـ « إذن نجا (برومثيوس) بفعلته .. »

قال لها وهو يداعب عنق الجواد الجميل :

ـ « ليس تمامًا .. سيجد له (زيوس) عقابًا أسوأ فيما بعد .. سيرسل لـه امرأة .. امرأة تحوى جمال الزهور ومكر الثعالب .. اسمها (بندورا) .. وهى التى ستعرف كيف تذيقه الأهوال .. إن المرأة هى أشنع وأقسى ألوان التعذيب طرًّا ! »

ثم صمت هنيهة مفكرًا قبل أن يقول :

ـ « والآن .. ماذا يريد (بلوتو) منا هذه المرة ؟ »

* * *

فى هذه اللحظة فى مستنقعات (ليرنا) ..

كانت هناك حركة غير مريحة ..

الرجل الذى يحمل مصباحًا فى يده ، ويمشى فى حذر محاولاً ألا يغوص فى الوحل فتكون نهايته ..

كان يبحث عن شىء ما ..

وهنا توقف وقد شعر بأن الماء يتحرك بجواره ..

تصلب واستدار يتفقد المكان بمصباحه .. لا شىء سوى الطحالب على صفحة المياه تلتمع فى دائرة الضوء الأصفر الشاحب ..

واصل السير لحظات .. بعدها سمع الصوت ذاته ..

استدار رافعًا المصباح ليزيد من دائرة الضوء ..

الماء ينشق .. وشيء يخرج منه .. شيء جدير بعالم الكوابيس التى تصحو منها تلهث ، والعرق يغمر وجهك ..

فما إن رأى الرجل المشهد حتى رمى المصباح ، وصرخ :

- « رحماك يا أبى (أورانوس) ! إنه (هيدرا) ! »

كان الرجل محقًا للأسف ......

بالفعل هذا هو (هيدرا) ......

★ ★ ★



فما إن رأى الرجل المشهد حتى رمى المصباح ، وصرخ :
ـ «رحماك يا أبى (أورانوس) ! إنه (هيدرا) !» . .

٩ - (هيدرا) وما إلى ذلك !

فى ضوء الشفق سرى الموكب الكئيب ..

كلهم متجهم الوجه مكفهرّه .. شاخص البصر .. ذاهل النظرات ، بعضهم تلوث بالدم .. وبعضهم تلوث بالمرض ، بعضهم يرتدى أفخر الحرائر ، وبعضهم يرتدى أسمالاً مهلهلة ......

لكنهم جميعًا موتى ..

وفى المقدمة يمشى (شارون) كقائد كتيبة يتقدم جنده ، وقد راح يلوح بعصا ، هى عظمة فخذ ، زيّنها ونقش عليها حروفًا لاتينية ..

الموكب يتقدّم .. ولقد لمحه بعض الفلاحين العائدين من حقولهم فأشاحوا عنه ببصرهم وقد خشوا أن يأخذ (شارون) أحدهم ، ولمحه طفل يلعب فصاح مذعورًا وهرع إلى أمه يسألها عما رآه ، ولمحته بعض الغيد اللواتى خرجن لرؤية الشفق .. فأطلقن الصرخات ورحن يركضن بين الحقول مبتعدات ..

ولمحه (بيرياسوس) وهو فوق صهوة جواده المجنح و (عبير) خلفه .. فجذب عنان الجواد ليهبط قليلاً .. ويحوم فوق الموكب الرهيب .. ثم يصيح بأعلى صوته :

- « هيه ! (شارون) ! قد أنجزت عملين من أعمال مولاك »

قال (شارون) دون أن ينظر لأعلى :

- « أعرف هذا يا (بيرياسوس) .. أعرفه .. هل تظننا نلهو فى (هيدز) أو ننام على آذاننا ؟ إنك تحقق نجاحًا معقولاً .. لكن (بلوتو) يريد منك أن تقصد مستنقعات (ليرنا) لتقتل الـ (هيدرا) .. »

- « هذا لن يكون عسيرًا .. »

- « بالعكس .. إن هذا الطابور الذى أتقدمه هو من ضحايا الـ (هيدرا) ! »

ثم واصل المسير ، وهو يردد فى صوت رتيب :

- « أتمنى لك حظًا سعيدًا .. نحن بانتظارك فى (هيدز) بفارغ الصبر أنت وفتاتك ! »

- « ومن قال إننى أنوى الذهاب هناك ؟ »

- « الكل يذهب هناك حتى ولو بلغ الجبال طولاً .. »

وارتفع (بيجاسوس) براكبيه مبتعدًا عن الوادى الدامى ..

- « إلى (ليرنا) أيها الحصان الوفىّ .. هيّا ! »

ودنت (عبير) من أذن (بيرياسوس) لتسأله فى قلق :

- « ما هو الـ (هيدرا) هذا ؟ »

- « ألم تدرسى (الجوفمعويات) فى المدرسة ؟ »

- « نعم لم أدرسها .. أنا حاصلة على دبلوم تجارة .. »

- « بالتأكيد سمعت عنها وإلا مادار هذا الحوار بيننا .. (الهيدرا) هو - فى الأساطير الإغريقية - أفعوان أرقم هائل الحجم .. وله سبعة رءوس ، لقد أطلق العلماء ذات الاسم على أحد الحيوانات البحرية من رتبة الجوفمعويات .. لأن له أقدامًا كثيرة تبدو كرءوس .. »

- « إن أساطيركم تُستخدم كثيرًا فى مجال العلوم .. »

- « هذا حق .. لسوف تسمعين فى كتب التشريح عن (هيرما فروديت) ورأس (ميدوسا) .. وفى كتب علم الحيوان عن (هيدرا) و (سيكلوب) ..

وفى كتب علـم الطبيعـة عن (إيكو) و (إلكترون) خادم (أبوللو) .. ولسـوف تجديـن (تنتـالوس) فى كتب الكيمياء .. لا أستطيع حصر كل الأمثلة .. »

ـ « ولكن كيف تنوى قتل (هيدرا) هذا ؟ »

ـ « لا أدرى .. إننى أومن بالارتجال .. حين نصـل هناك سنجد حلاً .. »

مالت برأسها على كتفه .. وفى رقة همست :

ـ « هل تفعل كل هذا من أجلى ؟ »

ـ « بالطبع لا ! »

ثم أردف وقد أدرك أنه خيب آمالها ، وهوى برومانسيتها من فوق السحاب إلى وحل مستنقعات (ليرنا) :

ـ « أعنى أن البطولة قيمة فى حدّ ذاتها .. ولا تهم المبررات التى من أجلها جاءت البطولـة .. لكننـى أحبك بالطبع .. »

ـ « شكرًا .. »

قالتها بكبرياء ، وراحت ترمـق الأرض مـن علٍ تركض تحت ناظريها .. وأدركت الحقيقة المروعة : الرجال لا يقومون بعظائم الأعمال من أجل الحبّ ، بـل من أجل أنفسهم ..

★ ★ ★

إنها المستنقعات ..

كان (بيجاسوس) واقفًا ينقب بخطمه فى الماء عن شىء يؤكل ..

أما (عبير) و (بيرياسوس) فيمشيان فى حذر بين الأوحال ..

كان لهاث (بيرياسوس) عاليًا ، وأدركت (عبير) أن التوتر قد بلغ مداه لديه .. قالت بصوت هامس :

ـ « (بيرياسوس) .. أنا .... »

ـ « هاآآآه ! »

صاح وهو يثب مترين إلى الهواء ، ثم عاد إلى رشده وأدرك أن هذه (عبير) .. فقال لها وهو يتنهَد :

ـ « عذرًا .. قد أوصلنى توتر أعصابى إلى درجة التحول إلى زُنبرك .. فأنا أعرف جيدًا ما هو (هيدرا) ! »

ثم أمسك سيفه بمجمع قبضتيه ، وراح ـ منحنى الظهر متحفزًا ـ يخطو بحذر ، متلفتًا حوله من حين لآخر ..

ثم توقف .. وأخرج من حاجياته التى على ظهر

(بيجاسوس) مشعلاً عملاقًا .. وبعود ثقاب جعله يتوهج فى الظلام ..

قال لـ (عبير) :

- « لن تسأليني طبعًا عن كيفية حصولى على ثقاب فى هذا الزمن .. »

قالت فى سأم :

- « بالطبع لا .. كل شىء جائز فى (فانتازيا) .. »

وهنا .....

فوق صفحة المياه التى تغمرها أوراق اللوتس العريضة المختمرة ؛ استطاع (بيرياسوس) أن يرى ما يشبه جسد ثعبان عملاق يزحف فى صمت ، وقد غاصت أجزاء عدة من جسده ..

مدّ (بيرياسوس) يده إلى قوسه وسهامه ، فأطلق سهمًا راح يصفر فى الهواء قبل أن يستقر فى الجسد غريب الشكل ..

كان هذا كافيًا لاستفزاز الوحش ..

سرعان ما خرج (هيدرا) الفظيع من الماء ، وهو يقلب رءوسه العديدة ، وراح يصدر فحيحًا يجمد الدماء فى العروق ..

فما إن رأته (عبير) حتى هتفت فى دهشة :

ـ « إذن هو أنت ؟! »

لم تعن بذلك أنها رأته رأى العين من قبل ..

أرادت القول إنه مألوف إلى حد كبير .. إن صورة (هيدرا) تقليدية جدًا ويعرفها الجميع .. وقد رأته على الشاشة الصغيرة مرارًا ، لكنها لم تعرف أنه نموذج يتحرك بطريقة (دايناميش) التى ابتكرها الفنان الأمريكى (راى هارى هاوزن) فى فيلم (جيسون والبحارة) ..

الفحيح الرهيب يصمّ الآذان .. والرءوس السبعة تهاجم بطريقة منسقة .. فينقض ثلاثة منها مكشرة عن أنيابها ، ويتراجع ثلاثة ، على حين يقبع السابع متحرشًا .. ثم يهجم اثنان .. ويتراجع أربعة ..

ومن كل فم كان لسان مشقوق طوله كطول رجل ، يتلوى باحثًا فى الهواء المحيط به عن حياة يدمرها ..

كانت المهمة شاقة ..

وللمرة الأولى تسرب الرعب إلى فؤاد (عبير) ..

كان (بيرياسوس) واقفًا فى الأوحال التى غمرته حتى خصره ، يلوح بسيفه كلما دنا رأس أكثر من

اللازم منـه .. وتكفل الظلام والأرض الزلقة بتحويل المشهد إلى جحيم ..

ودنا أحد الرءوس من (بيرياسوس) ، في حين دنا آخر من (عبير) .. وطار السيف في الهواء .. وتناثر رذاذ الدم على ثيابها ووجهها .. لكنها حين استطاعت أن ترى وجدت هولاً ..

كانت سبعة رءوس أخرى قد نمت مكان الرأس المقطوع !

بثلاثة عشر رأسًا يواصل (هيدرا) هجماته الكاسحة .. ودفاع (بيرياسوس) عن نفسه وعنها هو مسألة وقت ..

* * *

وسط هذا الكابوس سمعت (بيرياسوس) يصرخ فيها :

- « (برسفونى) ! هاتى المشعل حالاً !

بالفعل سمعت .. لكنها لم تفهم حرفًا ..

- « (برسفونى) ! المشعل ! »

أخيرًا بدأت تفهم معنى كلماته ..

هرعت بالمشعل لتقف جواره ، بينما (هيدرا)

العملاق يناورهما باحثًا عن ثغرة ما ..

صاح (بيرياسوس) كى يغلب صوته الفحيح :

ـ « سأقطع رأسًا من الرءوس .. فإذا ما .... »

س س س س س س س س س !

« فإذا ما نجحت .. عليك بكىِّ موضعه حتى لا ... »

س س س س س س س س س !

« تنبت رءوس جديدة .. هل سمعتِ ؟ »

ـ « نـ .. نعم .. »

وعلى الفور وثب (بيرياسوس) فى الهواء ليطيح سيفه بأحد الرءوس .. وتفجّرت نافورة من الدماء مازجت الأوحال ..

وفى اللحظة ذاتها وثبت (عبير) لتدفن المشعل فى موضع الرأس المقطوع .. وتصاعد الدخان .. رائحة اللحم المحترق .. رائحة الرماد ..

وحين أفاقت .. كانت ساقطة فى الطين ، و(بيرياسوس) يحاول أن يطير رأسًا جديدًا .. ، لكن شيئًا لم ينبت فى موضع العنق المبتور ..

ـ « هلمى يا (برسفونى) ! استردى المشعل .. »

وعنق آخر طار فى الهواء .. وسرعان ما كان

المشعل يكوى موضعه .. وامتلأ الجو بالدخان مقيت الرائحة ..

- « أحسنتِ .. إن هذه الوحوش الإغريقية تموت بسرعة .. والآن .. هان ! الرأس الثالث ! بقيت ثمانية رءوس .. »

قالت وهى تحرق موضع الرأس :

- « عشرة .. كان عنده سبعة رءوس .. طار واحد ونبت مكانه سبعة .. ثم أطرت أنت ثلاثة .. هذا يجعل العدد ...... »

- « لا وقت لأبطال الإغريق كى يجيدوا الحساب .. هان ! الرابع ! »

كان العمل مرهقًا ..

خاصة و (هيدرا) لم يضعف لحظة واحدة .. كان شرسًا كما كان وربما أكثر ..

ولابد أن (عبير) فقدت حذرها لثانيتين ، حين وجدت نفسها ترتفع فى الهواء .. وأدركت أن أنيابًا حادة تنغرس فى خاصرتها .. وأدركت أن (هيدرا) قد أطبق على جسدها بواحد من رءوسه التسعة الباقية !

★ ★ ★

صاح (بيرياسوس) فى هلع :

ـ « (برسفونى) ! لا ! »

وحاول الوصول إليها لكن أربعة رءوس سدّت عليه الطريق .. ولم يكن المشعل معه لهذا لم يجرؤ على ضربها بسيفه حتى لا يجد نفسه أمام ثمانية وعشرين رأسًا !

أما عن الشعور بجسدك فى أنياب (هيدرا) فيمكنك أن تسأل عنه (عبير) ..

كان الوحش يهزّ رأسه ليفقد (عبير) وعيها ، ويزيد من تغلغل أسنانه فى لحمها .. وراح يطوّح رأسه يمينًا ويسارًا مرارًا ..

عندئذ أيقنت بالموت ..

لقد كان (بلوتو) محقًّا أكثر من اللازم ..

لم يستطع الحبّ أن يحميها من ....

* * *

١٠ - (ديدالوس) و.... ألن ينتهى هذا ؟!

كان المشعل فى يدها ..

كيف نسيت ذلك ؟

استجمعت قواها الخائرة النازفة ، ورفعت ذراعها وحركت المشعل نحو عين الوحش الزجاجية معدومة الرحمة ..

كان الألم شديدًا .. وهذا معناه الصراخ .. وحتى (هيدرا) لا يستطيع الصراخ بفم مغلق .. لقد فتحت الرءوس التسعة أفواهها صارخة فى ذات اللحظة ، وتدحرجت (عبير) البائسة إلى الوحل ..

وأخيرًا استعادت حريتها فهرعت تقف خلف (بيرياسوس) الذى استعاد حماسه القديم بدوره ..

وتطاير المزيد من الرءوس إلى مياه المستنقع المباركة ..

إن النصر حليفهما .....

الأفعوان الرهيب (هيدرا) لن يلتهم أحدًا بعد اليوم ..

* * *

كانا يقفان لاهثين يعبّان الهواء إلى صدريهما فى جشع .. وقد اختفت ملامحهما خلف طبقة كثيفة من الوحل والدماء ..

وتخلت ساقا (عبير) عنها فهوت إلى الماء الآسن .. وهوى جوارها (بيرياسوس) .. وبصعوبة استطاع أن يخلص السيف من أنامله التى تقلصت على مقبضه ..

كم مرّ عليهما من وقت راقدين وسط الأوحال ، يلهثان ، ويصغيان لصوت حشرجة (هيدرا) الأخيرة ؟

ربما دقائق .. ربما ساعات .. لكنهما على كل حال كانا سعيدين .. وإن عكر سعادتهما التساؤل حول كنه المشكلات السبع التالية التى أعدها لهما (بلوتو) ..

بعد قليل نهضا باحثين عن (بيجاسوس) الذى كان واقفًا جوار خميلة من الأشجار ، يبحث بفمه عن شىء ما ..

ركباه .. ولكزه (بيرياسوس) كى يفرد جناحيه ويحلق مبتعدًا عن أرض الكوابيس هذه ..

وحين حلق (بيجاسوس) فى الهواء ، استطاعا أن يريا عربة (أبوللو) بجيادها البيض تمرق عَبْر

السماء ، و (أبوللو) يلوح بمشعله فى الهواء ليُولَدَ ضوء النهار ..

كان هذا هو الفجر ..

* * *

مياه بحر الروم تلتمع بخيوط الذهب ، وهما يحلقان فوقها .. وأحيانًا يرتفعان ليخترقا أجواز السحاب .. السحاب الذى طالما حسبته (عبير) قطعًا من القطن الأبيض ، وتمنت لو تجمعه فى يوم صيف ، لتغزل منه ثوبًا لم ترتده أنثى سواها ..

قطع عليها خواطرها صوت رفرفة جناحين ..

نظرت إلى مصدر الصوت لترى مشهدًا غريبًا .. مشهد العجوز الذى يرتدى جناحين من الريش المغموس فى الشمع ، وجواره طفل على أبواب المراهقة يرفرف بجناحين مماثلين ..

كانا يطيران ببراعة وكفاءة كما تفعل أية بجعة محترمة ..

ولمحهما (بيرياسوس) بدوره .. فرفع ذراعه صائحًا فى مرح :

ـ « (ديدالوس) أيها الشيخ .. أما زلت حيًا ؟ »

صاح الشيخ وهو يلهث من جراء جهد التحليق :

- « بلى يا (بيرياسوس) .. إن الطيران يطيل العمر .. وأنت تعرف أنه حلمى منذ كنت فى سنك .. »

ثم صاح فى الطفل بحزم :

- « تمهل يا (إيكاروس) ولا تبتعد عنى كثيرًا ! »

ثم عاد يوجه الكلام إلى (بيرياسوس) :

- « أرى أنكما فى أسوأ حال بعد مواجهة (الهيدرا) .. لكنكما حيّان على كل حال ، ولدى رسالة عاجلة من (شارون) لكما ..

- « إن له لوسائل غريبة فى إبلاغ تعليماته .. هاتها .. »

- « يقول لكما أن تتجها إلى (نيميا) .. فهناك أسد ضرغام يقطع الطريق على المارة .. وعليكما قتله .. »

- « لك هذا ...... »

ثم أرخى عنان (بيجاسوس) ليزيد سرعته .. وبدأ يبتعد عن الشيخ المجنح وولده ..

على حين ظلت (عبير) ترمق المشهد العجيب عاجزة عن الفهم ..

وجاءها الجواب بعد ثوان .. حين رأت الطفل يرتفع لأعلى لأعلى .. دانيًا من قرص الشمس - (رع) الفراعنة و (أبوللو) الإغريق - برغم تحذيرات أبيه المتكررة ..

ثم رأته يأتى بحركات متشنجة .. وانفصل الجناحان عن جسده .. ورأته يهوى بسرعة جنونية من عل .. وأبوه يرمقه عاجزًا عن عمل شىء ..

صاحت فى (بيرياسوس) بهلع :

- « غذ بالحصان .. يجب إنقاذ الصبى ! »

قال (بيرياسوس) دون أن يدير وجهه :

- « لا جدوى .. إن تسارع سقوطه يفوق سرعة (بيجاسوس) .. إن أى طالب يدرس الفيزياء يمكنه إخبارك بهذا ! »

نظرت للوراء دامعة العينين وغرست أظفارها فى كتفه :

- « لكن .. إنها لمأساة ! »

- « حقًا .. لكن كان على (إيكاروس) أن يطيع

أباه ولا يدنو من قرص الشمس .. لقد ذاب الشمع الذى صنع الجناح منه .. وهوى هو أرضًا .. » .

ـ « البائس ! »

ـ « لكن هناك فكرة فلسفية لا بأس بها وراء هذه القصة .. إن شوق الإنسان إلى المعرفة يقوده إلى الهلاك .. (إيكاروس) هو الإنسان الذى مات لأنه عرف أكثر مما ينبغى .. لأنه دنا من الشمس ـ أى الحقيقة ـ أكثر مما يُسمح له .. »

ثم تنهَّد .. ونظر إلى الأفق :

ـ « الآن نواجه الخطر الرابع .. »

ـ « عسى ألا يكون الأخير ! »

وغمغم فى ضيق :

ـ « أسد ؟ بعد كل هذا العمر والخبرات يطلب منى أن أقتل أسدًا ؟.. أى استهتار ومضيعة للوقت ! »

★ ★ ★

فرغ (زيوس) من مشاهدة بطولات (بيرياسوس) وهو على متكئه ، يداعب شعيرات لحيته البيضاء الملتفة ، ويلتهم بعض التفاح الذهبى المقدس ..

كان يراقب المشهد على شاشة كبيرة تحتل جدارًا

كاملاً من الغرفة ، فلما انتهى مدّ يده إلى جهاز الـ (ريموت كونترول) يستعيد لقطات صراع (بيرياسوس) مع (الهيدرا) .. وراح يوقف الكادر عند بعض لقطات ..

مالت (حيرا) عليه وسألته وهى تلف شعرها :

ـ « ما رأيك ؟ »

ـ « رائع .. إنه بطل إغريقى حقّ لا يختلف عن أبنائى (برسيوس) و (هرقل) وسواهم .. »

ـ « هل سينجح ؟ »

ـ « آه .. الوقت مبكر جدًا على التنبؤ .. »

ـ « ألن يكتفى (بلوتو) بهذا ؟ »

ـ « نعم .. إن قانون الأساطير صارم جدًا .. لابد للبطلِ من أن يواجه الهول فى أرجاء الأرض »

ثم ضحك وداعب لحيته من جديد :

ـ « إنه لعرض شائق .. ومن المؤكد أننا سنستمتع حقًا .. لكنى أؤكد لك أن (بلوتو) ليس سهلاً .. بالتأكيد سيوقع بهما ويستعيد (برسفونى) فى أقرب فرصة ! »

ـ « لكنه لا يريدها ميتة »

ـ « بالطبع لا يريدها ميتة .. يكفيه موت (بيرياسوس) الجسور فحسب ! »

* * *

تلوح غابات (نيميا) من بعيد ..

ويتردّد الزئير المروّع الذى يجمد الدماء فى العروق ..

ـ « إنه هنا .. »

قالها (بيرياسوس) بصوت مبحوح قليلاً يشى بتوتره .. بالتأكيد لن يكون سبعًا عاديًا من يصدر هذا الزئير ..

وأجفل الحصان قليلاً ، ورفع ساقيه الأماميتين فى الهواء ، فقال (بيرياسوس) وهو يربّت على عنقه :

ـ « هلم اهدأ يا صغيرى .. إن (بيجاسوس) لم يعد على ما يرام ، وأخشى أننا لا نجرؤ على الاعتماد عليه فى الفترة القادمة ، فهو حصان .. والخيل ـ حتى المجنحة منها ـ تهاب السباع كالموت .. »

همست (عبير) :

ـ « إذن نهبط به هنا ونترجل .. »

ـ « هذا حكيم .. »

وبين الأشجار لمست أقدام (بيجاسوس) الأرض ، ربطه الفتى إلى شجرة شامخة .. وامتشق حزامه ودعا (عبير) إلى أن تمشى جواره ......

إن مهمة البحث عن أسد ليست صعبة جدًا ..

فى الغالب يجدك هو قبل أن تجده ......

★ ★ ★

كان المشهد مروعًا لا يمكن تصديقه ..

لقد كان الخطر الرابع يفوق الأخطار السابقة بمراحل .. (أنتيوس) كان غبيًا .. والرخ كان بطىء الحركة .. و (الهيدرا) كانت مرعبة أكثر منها خطيرة ..

أما هذه المرة فلا ......

وحين مدّ (بيرياسوس) يده إلى حسامه لم يكن هناك .. اختفى فى ظروف غير مفهومة !

غمغم من بين أسنانه :

- « (بلوتو) العجوز يمارس الغش فى اللعب ! »

ووقف يتأمل الخطر الدانى منهما ..

★ ★ ★

في الكتيب القادم نعرف ما حدث وما سيحدث ، ولنتذكر أن (عبير) ستدرك حقيقة مخيفة عن (فانتازيا) في المرة القادمة .. ولسوف تواجه الحلم ـ أو الكابوس ـ بأكمله عاجزة عن الاستيقاظ .. عالمة أن موتها في الحلم كموتها في الواقع ..

كلاهما بلا رجعة !

[تمت بحمد الله]

★ ★ ★

فانتازيا

مغامرات ممتعة
من أرض الخيال

روايات
مصرية للجيب

٥٢٧٩

ألعاب إغريقية



د. احمد خالد توفيق

سجينة فى (هيدز) مملكة الموت ، تعرف (عبير) أن عليها أن تواجه عالمًا معقدًا ، هو عالم الأساطير الإغريقية ، حيث يمتزج الخيال والرومانسية والرعب لتصنع شيئًا واحدًا ساحرًا ..

الثمن فى مصر ١٥٠ مـ
ومايعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس : ٢٨٢٧٠٠٤